روايات مصرية للجيب
حسن الحلبى
تاكسى
6
فريق
متميزون
E-BOOK
اللغز

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما امكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج اكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين ايديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة **تاكسي**

العدد رقم (06)

اللغز

تأليف: حسن الحلبي

مقدمة..

اسمى (سامر رمضان)، سائق تاكسى حاليًّا، وخبير فى الأمور التقنية والإلكترونية سابقًا، وعملت مع المخابرات العامة لمدة عامين بدلًا من السجن؛ لما سببته من دمار بعدد هائل من أجهزة الكمبيوتر حول العالم، ذات مرّة..

اسمى (سامر رمضان)، متزوج، اسم زوجتى (ديالا)، وابنى (كريم) فى الصف الأوّل الابتدائى، ولى جار صحفى اسمه (يوسف)، وقد تعرّفت بطريقة غريبة نوعًا ما على رائد الشرطة (منذر خليل) الذى يريد أن يكون مهمًا بأىّ شكل، وعلى (ديمترى) عالِم الفيزياء الكيميائية الذى يعشق البوم، المتثائب طوال الوقت، وعلى (همام خميس)، الممرض الذى يقول بيتين من الشّعر كلّ دقيقتين..

اسمى (سامر رمضان)، لا شكّ أنك تعرف أننى قدمت استقالتى من المخابرات العامة، وتفرغت للعمل كسائق تاكسى، بعد أن أصبت بثلاث رصاصات فى صدرى بسبب أحد عملياتى القديمة، وبعد أن شعرت بالملل الشديد من كل تلك الأمور التى أشعر أنها مناسبة للأفلام أكثر من الواقع؛ فأنا أكره المطاردات والرصاص ورجال العصابات وقضايا القتل والاغتيال، وما شابهها من أمور لم تعد تثير حماستى..

اسمى (سامر رمضان)، أنت تعلم الآن أننى نلت إعجاب (ديمترى) و(منذر)، وأنهما أخبرانى أننى سأعمل معهما فى أى قضايا جديدة لهما، بعد افتتاح قسم المخابرات العلمية، الذى أنا فيه مشرف على القسم التقنى.. سأعمل معهما بصورة رسمية طبعًا ولكن أمام الكل أنا مجرد سائق تاكسى..

إن كانت هذه هى المرة الأولى لك معى؛ فأنصحك بمراجعة السطور آنفة الذكر، أو الأعداد الخمسة السابقة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

١ - « رقم خاص يتصل بك »

منذ أن رجعنا من المطار وحتى وصولنا البيت، و(كريم) يتكلم بلا توقف عن كل المواقف التى مررنا بها فى الرحلة، بحماس شديد..

كانت رحلتنا إلى (تركيا) أكثر من ممتعة، كعائلة، وشعرت بسعادة عارمة لأننا سعدنا بالرحلة حتى هذا الحد، و (ديالا) غيّرت مزاجها كما يجب، بعد كل ما حدث معنا فى الأسابيع الماضية..

تلك المغامرات التى عشتها، الخطر الذى وجدت أننى أغوص فيه حتى عنقى من جديد، التفاصيل التى فاجأتنى وأدهشتنى، كنا بحاجة حقيقية إلى فترة راحة لا بدّ منها، و(إسطنبول) كانت وجهة مثالية بعد كل ما سمعته وقرأته عنها..

لم يحدث معنا شىء مهم خلال الرحلة، هى مجرد رحلة عائلية جميلة وهادئة لعدة أيام، بدون أى مهام عاجلة، أو مغامرات أمنية خطيرة أزج فيها نفسى وعائلتى دون إرادتى..

التغيير جميل، والرحلات التى من هذا النوع مطلوبة كل فترة، جيدة للشخص، تعطيه مساحة نفسية أكبر من المعتاد، وتساعد بشكل كبير على التركيز، وعلى إعطاء المرء متسعًا لا بد منه..

أعلم هذا جيدًا: (كريم) سيقول لكل أصدقائه عن كل مكان ذهبنا إليه، ولمعلماته أيضًا، كما أنه طلب منى أن يأخذ الجهاز اللوحى معه إلى المدرسة، كى يَرى زملاؤه الصور..

هذا الجيل الغارق فى التكنولوجيا منذ الصغر.. وأنا فى مثل عمره كنت أعشق تلك الممحاة الحمراء التى نكهتها مثل الفراولة أكثر من أى شىء فى العالم! هذا كان من أهم أسباب سعادتى، مع لعب كرة القدم فى الشارع قرب المنزل، مع أولاد الجيران..

الغريب فقط بعد عودتنا، هو سؤال (ديمترى) لى عبر الهاتف أكثر من مرة، عن زعيم المافيا التركية (توران باموق)..

من هذا؟!

لم أسمع عنه من قبل، إلا عندما أخبرنى عنه (ديمترى)، لكنه عندما أرسل لى صورته، شعرت بانقباض فى قلبى!

شعرت أننى أعرفه!

أننى تكلمت معه قبل هذه المرة!

بحثت عنه فى شبكة الإنترنت، المشكلة أنه مختفٍ تمامًا منذ أول يوم رجعنا فيه من (إسطنبول).. الرجل اختفى تمامًا، المشكلة أن ابنه (سيلجوق) كما قرأت، مختفٍ معه أيضًا، ليس وحده.. وهناك تخبط كبير بين صفوف المافيا التركية، وكأنهم يعلمون أن أحدًا قد اختطفهما، أو تخلص منهما، مثلًا..

غريب!

لماذا سألنى (ديمترى) عن (توران) هذا؟!

لماذا شعرت أننى أعرفه أو أننى رأيته، أنه مألوف بالنسبة لى بطريقة غامضة؟!

لماذا شعر (ديمترى) كما شعرت أنا؟! و(منذر) أيضًا؟!

لا أدرى..

قالت (ديالا) ونحن نتناول العشاء فى البيت، بعد أن طلبنا الطعام من مطعم قريب: - يجب أن نخرج فى رحلات كهذه، كل فترة..

- نعم، فعلًا، من أجلك ومن أجل (كريم)..

- ومن أجلك أنت أيضًا يا (سامر)!

ضحكت وناولتها قطعة دجاج وأنا أقول:

- وأنا أيضًا يا عزيزتى، حاضر..

أفهم جيدًا ما الذى تقصده (ديالا)..

هذه هى المشكلة، ما زالت حتى الآن فى ضيق شديد من أمر المخابرات العلمية، والمهام، والتعرض للقتل أو الاختطاف وما شابه ذلك..

لحسن الحظ أن رحلتنا إلى (إسطنبول) كانت هادئة تمامًا!

لكنّ فكرة عودتى إلى العمل مرة أخرى، ومع (ديمترى) و(منذر)، كانت وما زالت مزعجة بالنسبة لها..

قبل أن ننام قمنا بمشاهدة فيلم عائلى على (نتفليكس)، وحضّرت (ديالا) بعض البوشار، وكنت أنا مسبقًا قد اشتريت بعض الشوكولا ورقائق البطاطا من السوبر ماركت..

استيقظت صباحًا على صوت المنبه، نهضت كى أصنع فنجان قهوة حلوة، وإذ بهاتفى يرنّ..

« رقم خاص يتصل بك »

قمت بالردّ على المكالمة:

- آلو..

الصوت الذى سمعته كان عميقًا، مع بعض التشويش:

- صباح الخير..

- (سامر رمضان) معى؟!

من المفترض أن هذا رقم خاص، رقمى، ليس مع الناس ولا فى مدونتى، ولا فى التاكسى، ولا مع أقاربى..

هذا الرقم فقط مع بعض الأجهزة الأمنية.. فقط، فالاتصال إما من المخابرات العلمية، أو من الشركة..

- تفضل، من أنت؟!

- معك شخص، لن تستسيغ فكرة اتصاله بك إطلاقًا، وبصراحة لقد تعبت كثيرًا حتى وصلت إلى هذا الرقم..

بعصبية قلت:

- من أنت؟!

قال بنبرة فيها ثقة كبيرة:

- أنا رجل يعلم أنك الآن فى بيتك، وأن زوجتك (ديالا) نائمة فى الداخل، وأن ابنك (كريم) فى غرفته يلعب على الأغلب، وأن رحلتكم إلى (إسطنبول) كانت ممتعة، مع أننى أعتقد أن عليك فى المرة القادمة أن تذهب إلى (مرمريس)..

توترت بشكل هائل وبطريقة لا تليق بى، أخذت نفسًا عميقًا وقلت بأكبر قدر ممكن من الهدوء: - حتى لو كنت تتصل بى من رقم خاص، سأعرف من أنت، لكن يهمنى أن أعرف سبب اتصالك، ما الذى تريده؟! ما الذى تحاول إيصاله لى بقولك هذه المعلومات الساذجة؟!

ضحك ضحكة قصيرة وقال:

- لأننى أعرف أنك لست مجرد سائق تاكسى بسيط يا (سامر)، أعرف المزيد عنك..

- مثل ماذا؟!

- أعرف أنك عدت للعمل مع المخابرات!

فوجئت جدًّا..

سكتُّ ولم أقل حرفًا، فأكمل:

- لا بدّ أنك تضرب أخماسًا بأسداس الآن، وتريد معرفة هويتى، ولا شكّ أنّك تحاول تذكر صوتــى.. اطمئن، لن تعرف، فأنــا أستخدم جهازًا لتغيير الأصوات، وهــذا أساس عملك مع المخابرات العلمية، الأجهزة والاختراعات الغريبة!

قلت بحزم وصرامة:

- قل ما الذى تريده بالضبط قبل أن أغلق الخط فى وجهك وأبدأ بالوصول إليك.. سأصل إليك على أىّ حال، وسنجلس فى مكتبى فى مبنى المخابرات العلمية ونجرى حديثًا مطولًا.. هذا رقــم خاص، وأن تتكلم بتفاصيل سريــة ليس من حقك أن تعرفها، بعيدًا عن نبرة التهديد والاستهزاء بصوتك، والتى سأحاسبك عليها أيضًا ولن أتهاون..

قال:

- لن تستطيع!

- عفوًا؟!

- لن تستطيع يا (سامر)! أتحداك وأعلم أنك لن تستطيع أن تعرف من أنا، لكننى أريد تسهيل المهمة عليك قليلًا..

بفضول سألته:

- أىّ مهمة؟!

- مهمة التعرف على.. اسمع، قبل سنوات مات شخص بسببك أنت، ولقد عدتُ كى أنتقم له منك..

شخص مات بسببى؟!

قبل سنوات؟!

كيف ولماذا؟!

اعتصرت مخى وصرت أفكر بجنون، شاركت بعشرات المهمات، هل من المعقول أن يكون بسبب أحد المجرمين الذين قتلتهم، أو الذين ألقيت القبض عليهم وماتوا فى السجن مثلًا؟!

- من هذا الشخص؟!

- لن أخبرك الآن طبعًا، لكن عليك أنت أن تكتشف وحدك، عندما تراجع ذكرياتك مع الدخان!

وفجأة أغلق الخط..

تركنى وسط هذا الغموض البشع وأغلق الخط وبالذات مع آخر كلمة له.. الدخان؟!

أنا أصلًا لا أدخّن!

ما الذى يقصده؟!

حركت رأسى بقوة، قبل أن أجد نفسى خلال دقائق أمام حاسوبى المحمول، أكملت فنجان القهوة البارد، ثم نقلت المكالمة المسجلة تلقائيًّا وبدأت أحللها..

من الواضح حتى الآن أنه على درجة عالية جدًّا من الاحترافية، فعلًا، مرت أكثر من ساعة كاملة، وأنا أحاول يمينًا ويسارًا، ومعى عبر الهاتف أحد رجال المخابرات العلمية..

عندما قال لى إنه يتحدانى، كان يقصد هذا فعلًا!

لم أجد الرقم الذى اتصل بى..

اختفى تمامًا!

حتى الصوت، استعملت كل برامج تعطيل تغيير الصوت بدون أى فائدة، جربت الكثير من الرموز البرمجية المعقدة، دخلت إلى سجلات شركات الاتصالات..

دون أثر!

هذا شخص يتحرك دون أى بصمات إلكترونية، مما يعنى أنه شخص محترف للغاية، إلى درجة مخيفة..

يعرف أننى فى البيت، وأننى كنت فى (إسطنبول)، وأخبرنى باسم زوجتى وابنى، ويعرف أننى مع المخابرات العلمية، ويريد أن ينتقم منى لأننى كنت سببًا بوفاة شخص، قريب له، صديقه، ربما والده، ومنذ سنوات؟!

من هو؟!

ولو كان هذا الكلام صحيحًا، لماذا يتواصل الآن معى؟!

هل مات هذا الشخص مؤخرًا؟!

اتصلت بالملازم (أنس) في إدارة الشرطة مباشرة، وطلبت منه مراجعة ملفات قضاياى كاملة، منذ أول يوم اشتغلت فيه معهم، كى يرى إن مات فى الآونة الأخيرة أحد الذين ألقيت القبض عليهم وقتها..

رجع لى (أنـــس) بعد أقل من نصف ساعـــة.. آخر من توفـــى هو (نعمان عبد القادر)، تاجر مخدرات كبير من (جبل النصر)، مات بسبب مشاجرة فى السجن قبل ثلاث سنوات، ومن مات قبله، مات منذ خمس سنوات..

ليس أى منهما!

إذن من؟!

ما هذا الاتصال الغامض بالضبط؟!

أشعر أن رأسى يؤلمنى..

غادرت البيت وركبت التاكسى، مررت بالطريق على متجر فيه معجنات ومناقيش، وأكملت طريقى..

لا بدّ من هذا الغطاء لأجل عملى، مع أنه مضحك للبعض! أحيانًا يقولون لى إن (أوبر) أو (كريم) أشبه بضربة قاضية لقِطَاع التاكسى وكنت أهز رأسى وأقول إن الرزق على الله، حتى لو لم أكن أعمل مع المخابرات.. حتى لو كنت فعلًا مجرد سائق تاكسى وليس لى عمل آخر.. قالوا عن شبكة الإنترنت إنها ستقضى تمامًا على الصحف أو المجلات، لكن هذا لم يحدث، ما زالت هناك صحف ومجلات، وستبقى سيارات التاكسى تخدم الناس حتى لو ملأت تطبيقات النقل الذكى العالم كله!

بعد ساعتين فى الشارع، والاستماع إلى عدة قصص من الركاب المتحمسين لمشاركتى تفاصيلهم اليومية بما أنهم لن يرونى مرة ثانية، ذهبت إلى مبنى المخابرات العلمية، وكل خلايا مخى تفكر بذلك الاتصال المزعج والمباغت..

وصلت وركبت المصعد، لكن قبل أن أدخـــل إلى مكتبى وجدتنى أتوجـــه إلى مكتب (ديمترى) الجديـــد، (ديمترى) اللطيف والمبدع، العبقرى غريـــب الأطوار..

تصافحنا وحضنته، وأنا بشوق شديد إليه:

- أين البومة؟!

- فى الشقة طبعًا..

طبعًا ستكون هناك فى شقته! لا بد من هذا، هى وذلك البطريق وكل تلك الأسرار التى تمكث عنده..

- ما بك؟!

سألنى فأخبرته عن الاتصال الذى جاءنى، ولسانى يرتجف.. وأخبرته أننى حاولت أن أعرف من هو دون جدوى..

رفع الهاتف المجاور وطلب فنجانين من القهوة، ثم قال بعد أن شبك يديه أمام وجهه، وعلى وجهه علامات التفكير: - هذه ليست دعابة من أحد الزملاء، مستحيل، هذا الأمر فيه تعدٍ على الخصوصية ولو كان واحدًا منا فهو يعلم جيدًا أن هذا الاتصال قد يكلفه وظيفته.. الاتصال حقيقى مائة بالمائة، ومن اتصل بك واثق بنفسه للغاية، لدرجة أنه أخبرك عن الرحلة، وعن عائلتك، وعن عملك، وعلى رقمك الخاص الذى مع الأمن فقط، وبعد هذا قام بتحديك أن تعرف من هو رغم أنك الأفضل فى هذا المجال، بالتكنولوجيا..

قلت بقلق:

- قال لى إنه سينتقم منى بسبب شخص كنت سببًا فى وفاته قبل سنوات.. استغربت كثيرًا لكننى تأكدت بنفسى بعدها، آخر من مات فى السجن كان (نعمان)، الذى من (جبل النصر)، قبل عدة سنوات..

- ربما من الذين لم تقتلهم مباشرة، بل كنت أحد الأسباب!

قلت بحيرة وأنا أقلب كف يدى للأعلى:

- هذه تفاصيل سرية وليست مكتوبة إلا بملفات القضايا المحفوظة.. هل يعرف أننى كنت سببًا فى قطع رأس (ياسين أحمد) أو أنَّ رصاصتى فجرت مخ (داود النجار) أو اخترقت قلب (إسماعيل أبو النور) مثلًا؟! كيف؟!

شرب (ديمترى) من فنجانه وقال:

- أنت لا تعلم! ربما استطاع اختراق ملفات الدائرة عن طريق الإنترنت بحيل أو تقنيات جديدة، ربما يعمل مع شبكة مخابرات أخرى معادية؛ لهدف مجهول، ربما يعمل مع أحد منا، من هنا..

انقبض صدرى:

- جاسوس؟!

ببساطة قال:

- نعم، ممكن..

شرد ذهنى قليلًا، قبل أن أقول:

- والدخان؟!

- أى دخان؟!

- فى نهايــة المكالمة أخبرنى أننى سأعرف وحــدى عن من يتكلــم، إذا ما راجعت ذكرياتى عن الدخان.. ولم أفهم!

- غريب، ما الذى يقصده؟! هل فكرت؟! هل راجعت ذكرياتك أو ملفات قضاياك السابقة؟!

أخذت نفسًا عميقًا وقلت:

- ربما بسبب الحاج (صابر) من مصنع الدخان، والذى كنت أيضًا سببًا مباشرًا بموته عندما كان على وشك أن يطلق عليّ رصاصة فى صدرى.. ربما أيضًا للأمر علاقة بتلك القضية التى كانت فى شارع (المدينة المنورة)، كان هناك متجر لبيع الدخان، مات فيه اثنان بسبب حريق، وقبضنا على صاحب المتجر الذى فعل فعلته هذه من أجل تعويض التأمين.. ربما أيضًا بسبب (إسلام الأشقر)، الذى أيضًا كنت سببًا مباشرًا فى قتله فى إحدى العمليات..

- ما علاقة (إسلام) بالدخان؟!

- كان يدخن بشراهة غير عادية.. غير عادية أبدًا!

- ممممممم!

مررنا بلحظة طويلة من الصمت وكل منا يفكر بالأمر، نهضت بعد أن شربت آخر ما تبقى فى فنجانى: - حسنًا، سأجلس فى مكتبى قليلًا وأحاول أن أبحث بشكل احترافى أكثر، لعلّى أجد تفاصيل جديدة، وسأخبرك..

- أرجو هذا يا (سامر)..

- حسنًا يا (ديمترى)، حسنًا..

خرجت من مكتبه وذهبت إلى مكتبى مباشرة، فتحت الباب ودلفت إلى الداخل..

وشهقت..

على طاولة مكتبى، أمامى، كان هناك علبة مغلفة كبيرة!

ما هذه؟! من أحضرها هنا؟!

خارج غرفتى وفى الممر هناك ملازم يجلس بشكل مستمر، سألته عن العلبة بينما أمسكها جيدًا بيدى، قال لى إن هناك ضابط برتبة كبيرة، هو الذى أحضرها..

باستنكار سألته:

- ضابط؟!

- نعم، جاء وقال إنَّ هذه طلبية دخان خاصة بك، (سامر رمضان)، اسمك أنت، ولهذا تركتها لك على طاولة مكتبك، بعد أن فحصتها بجهازى لأتأكد أنَّ ما فيها آمن..

- دخان؟!

- نعم سيد (سامر).. دخان!

- هل أخبرك عن اسمه؟!

- نعم، وقّع عندى هنا فى كشف الأسماء..

بفضول هائل وتوتر رهيب، أمسكت الكشف وقرأت..

ابتلعت ريقى وأنا أحدق فى حروف الاسم..

(ياسر هنداوى)!

ارتجف جسدى كله واسترجعت بعض الذكريات القديمة والعنيفة وأنا أفتح العلبة بأطراف أصابعى، بالداخل كان هناك علب دخان، اثنتا عشرة علبة، بجانب بعضهم بعضًا..

علبة كاملة ممتلئة بعلب الدخان!

أمسكت الكشف والعلبة الكبيرة، وبسرعة كنت عند (ديمترى)، رفع عينيه عن هاتفه واستغرب من شكلى ومن دخولى عنده بهذه الطريقة، وهذه النظرة..

- ما بك؟! تبدو وكأنك مصدوم!

- هذه العلبة.. فيها دخان!

- أين كانت؟!

- فى مكتبى..

جحظت عيناه بقوة:

- أوف! ماذا؟! بمكتبك؟! من أحضرها لك هنا؟! هو نفسه! بالتأكيد هو نفسه! ما هذه الجرأة؟! كيف أحضرها هنا؟!

- أحضرها شخص يرتدى ملابس ضابط..

ووضعت العلبة والكشف أمامه، ثم أشرت بأصبعى على الاسم الموجود بالكشف: ــ.. هذا، (ياسر هنداوى)!

عقد حاجبيه وتساءل:

- من (ياسر هنداوى)؟!

ازدردت لعابى وقلت:

- على الأغلب خدعة أو محاولة إيهام يا (ديمترى)، لأنّ صاحب هذا الاسم لن يقوم بإحضار أى شىء لى.. مستحيل.. ليس هنا ولا فى أىّ مكان آخر..

- مستحيل؟! لماذا؟! هل تعرفه؟!

ارتجف لسانى وأنا قول:

- أنا متأكد أنه مستحيل.. لأنّ (ياسر) ميت منذ ٨ سنوات!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

٢ - حالة غريبة..

بعد أن قلت هذه العبارة، حدق (ديمترى) فى وجهى، هرش فى لحيته قليلًا وتثاءب ثم قال: - كيف؟! ما الذى تقوله؟!

بعصبية لوحت بيدى وأنا أقول:

- (ياسر هنداوى) كان زميلى بمهمة قبل ٨ سنوات، كنا بمهمة استرجاع ميكروفيلم من جاسوس إسرائيلى، لكنه أصيب بالنهاية، ومات، لم يستطع جسده تحمل الإصابة..

- أنت كنت معه؟!

- نعم أنا الذى كنت معه، وكنت من الذين قاموا بدفنه أيضًا، كانت جنازة مهيبة حقًّا..

رجع بظهره على مقعده وتمتم:

- غريب..

أخذت شهيقًا عميقًا وقلت:

- من المستحيل أن يكون (ياسر).. مستحيل..

- طبعًا، إذا كان ميتًا فمن المستحيل أن يعود للحياة، لكن ما الذى يحدث بالضبط؟! من هذا الذى يدّعى أنه (ياسر) وأتاك هنا إلى مبنى المخابرات كيف يحضر لك علبة دخان ويكتب لك أنه (ياسر)؟!

- لا أدرى.. لا أدرى..

باهتمام سألنى:

- هل هناك شخص معين فى بالك؟! عدوّ قديم مشترك، يعرفك أنت ويعرف (ياسر)؟!

- المشكلة أنَّ الذى اتصل بى أخبرنى أنه يريد الانتقام منى لأننى كنت السبب بوفاة شخصٍ يهمه.. لكن، مع الذى حدث الآن ومع تدخل اسم (ياسر) فى الأمر قمت باستبعاد كل الذين فكرت فيهم، (ياسين) و (داود) و(إسماعيل) و(صابر) و(إسلام) وغيرهم.. ليس منهم، المقصود هو (ياسر)، لكنه ميت! فالاحتمال الأقرب للحقيقة والواقع أنه شخص يهتمّ لأمر (ياسر)، ربما صديق لا أعرفه، أو قريب ما..

نهض (ديمترى) عن مقعده وأخذ يمشى ببطء فى المكتب، ثم قال وهو ينظر فى عينى مباشرة: - ما دام الأمر هكذا لا يتبقى أمامــى إلا ســؤال واحــد، وعليك أن تجيبه يا (سامر)..

- وهو؟!

بصراحة تامة سألنى:

- هل كنت سببًا مباشرًا بموت (ياسر) يا (سامر)؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قالها، ولم أجبه..

لكنه كان على حق، بشكل مرعب!

كى يكتمل الأمر، ويكون الاتصال معى منطقيًا، وكى يترك لى علبة على مكتبى، لا بدّ أن أكون سببًا بموت (ياسر)..

تبادلت مع (ديمترى) نظرة طويلة وبعدها نظرت إلى الأرض، وقلت بصوت خافت بعد أن أطلقت زفرة حارة من صدرى: - نعم.. أنا..

قلتها ودقات قلبى تضرب صدرى كله من الداخل..

ضربات قوية وعنيفة..

وصاخبة!

جلس (ديمترى) على مقعده وقال بعد أن تثاءب: - كيف؟! ما الذى حدث؟!

قلت ببطء وصوتى كله إزعاج وأسف:

- أخطأت أثناء خروجنا من المكان الذى كنت فيه مع (ياسر).. كان من المفترض أن أذهب من الممر الأيمن كــى أحميــه وأغطّيــه، لكننى لم أفعل ما قاله، قام بمناداتى عدة مرات كى أفعل كما يرى وأن أذهب من الممر الأيمن ولكننى اعتقدت أننى أنا الذى على حقّ، كنت أرى العكس، كنت أرى أنه يجب الذهاب من الممر الأيسر، ووقتها حدث الهجوم وانطلقت الرصاصات، ولولا حسن حظى أو العناية الإلهية لمت أنا أيضًا، وليس هو فقط..

- مات (ياسر) بسبب الرصاصات؟!

- نعم، من أثر الرصاصات.. بعدها بقليل تدخل فريق مخابرات ميدانى وقاموا بإنقاذنا وتهريبنا فى مغامرة عنيفة وخطرة للغاية، جاءتنى رصاصة وقتها ولكنى نجوت، أما (ياسر) فلم يتحمل جسده الصدمة، ومات..

تنهد وقال:

- وهل دفنتموه؟!

هززت رأسى:

- نعم يا (ديمترى)، قمنا بدفنه أنا وبقية الزملاء.. مات، من المستحيل أن يعيش بعدها.. الموتى يعودون للحياة فى الأفلام فقط.. مستحيل أن يكون هو..

هزّ رأسه مثلى، ونظر نظرة طويلة من النافذة التى خلفه وقال: - يعنى بشكل أو بآخر، كنت أنت سببًا مباشرًا بموته؟!

بأسف هائل قلت:

- للأسف، رحمه الله..

- هذا الذى حدث، من يعرفه بالضبط؟!

- وقتها؟! كل الذين كانوا معنا!

- كلهم؟! هل من الممكن أن يكون أحدًا منهم، أو من أهله؟!

- ربما.. لكن الغريب هو التوقيت.. لماذا الآن؟! ما الفكرة بحصول هذا الاتصال الآن، بينما أنا فى حقيقة الأمر لم أكن أقصد أن يحدث هذا له، (ياسر) كان زميلى وكنا فى نفس المهمة، وأنا أصبت أيضًا لكننى عشت! هل سيحاول أحدهم أن ينتقم منى لأننى لم أمت؟! ما هذا الهراء! لم أقصد أن يحصل هذا أبدًا.. أذكر وقتها أننى مررت بحالة نفسية لا أُحسدُ عليها، ولم أعد للعمل إلا بعدها بأسابيع..

والتزمت الصمت قليلًا وأنا أفكر، أحاول الفهم، وأكملت: ـ.. من هذا الأحمق الذى يريد بعد كل هذه السنوات أن ينبش هذا الأمر، ويتكلم معى بتفاصيل خاصة، ويترك لى علبة دخان؟!

قال (ديمترى) بسرعة وكأنه انتبه الآن لما كان غائبًا عنه: - لحظة، ما علاقة (ياسر) بالدخان؟!

- بالدخان؟!

قلتها وعدلت جلستى، وأنا أفكر..

(ياسر) والدخان؟!

ما العلاقة بينهما؟!

هو مثلى؛ لا يدخن..

إذن ما العلاقة بينهما؟!

غرقت فى تفكير عنيف ومخى يكاد أن ينفجر، أحاول أن أفهم، أن أحلّل وأتذكر.. لكنى لم أجد أىّ علاقة بين (ياسر) والدخان.. احترم (ديمترى) صمتى وتفكيرى لأنّ ملامحى كانت تقول بوضوح أنّنى فى غاية الانزعاج والحيرة والتوتر..

قال:

- حسنًا، كى نحاول فهم ما يجرى بطريقة عملية، هناك عدة أمور يجب أن تتمّ، منى أو منك..

تساءلت:

- عدة أمور؟! مثل ماذا؟!

قال (ديمترى) بجدية:

- يجب أولًا أن نتأكد من أنَّ (ياسر) ميت فعلًا أم لا!

رفعت حاجبىّ للأعلى بدهشة:

- ألا تصدّقنى؟!

- أصدّقك طبعًا، لكن يجب أن نفكر بكل الاحتمالات يا (سامر).. ربما ليس ميتًا، ربما فعلًا قمتم بدفنه لكن لم يكن ميتًا وجاء أشخاص بعد ذهابكم لإخراجه، مثلًا، ربما كل الأمر خدعة كبيرة متقنة..

- وما الغاية؟! ما الهدف؟! هل هو متفق معهم مثلًا؟!

- ربما، لا أعلم.. كل شىء ممكن..

تمتمت:

- مستحيل، مستحيل.. لقد واريناه التراب بأنفسنا، بأيدينا، بعيدًا عن أنه كان زميلى وشريكى..

قال (ديمترى) بلهجة حازمة:

- أعتقد أنَّ التأكــد لن يضرّ أحــدًا، سأطلب من الملازم (سامــى) الذهاب إلى المقبرة بعــد أن نأخــذ المعلومــات اللازمــة ونسأل عن قبره، ليذهب ويتأكد..

- حسنًا، والأمر الثانى؟!

- الأمر الثانى متعلق بك، عليك أن تكتشف علاقة (ياسر) بالدخان.. هناك علاقة بينهما بالتأكيد بما أنَّ صاحب الاتصال الغامض أخبرك أنَّ هناك شيئًا بهذا الخصوص، ربما أنت نسيت وبحاجة لشىء يذكرك، ربما يجب أن تنتبه أو تركز أكثر، أن تحاول الربط بشكل كافٍ.. اذهب لمكتبك، اجلس هناك وقم بفعل ما عليك أن تفعله، لا أعرف ما هو لكن افعله.. قم بإجراء اتصالاتك، تكلم مع زملائك وقتها، حتى لو أردت أن تسأل أهله أو أحدًا من أصدقائه، هناك علاقة بينه وبين الدخان، ويجب أن نعرف ما هى.. أشعر أنَّ هناك شيئًا كبيرًا بسبب هذه العلاقة، شىء كبير حدث، أو على وشك الحدوث..

قلت بقلق وقد شعرت بقشعريرة تزحف على أكتافى: - مثل ماذا؟!

- لا أدرى، لكن غريزتى تقول لى هذا، هناك شىء كبير..

نهضت وقلت:

- حسنًا، والشىء الثالث؟!

ببساطة ذكّرنى بالأمر البديهى الذى كنت نسيت أمره تمامًا: - الكاميرات!

- أى كاميرات؟!

- كاميرات المبنى والطابق، دعنا نرَ ونتأكد من هوية الذى جاءنا مدعيًا أنه من رجالنا، فقط كى يحضر علبة الدخان!

صحيح!

نعم، صحيح جدًّا..

قال لى الشاب فى الخارج إنه جاء شخص بملابس مثل الضباط وترك العلبة لى، الجميل فى الأمر أن المبنى كله كاميرات، فى الداخل والخارج، هكذا سأميزه بسهولة، سأعرف من هو، ولو كان شخصًا لا أعرفه ستكون ملامحه عندنا على الأقل، سنبحث عنه ونعرف من هو..

ابتسمت رغم أنفى، بنفس الوقت الذى رنت فيه (ديالا) علىّ، فقلت له: - حسنًا، يجب أن أردّ على هــذه المكالمــة، وبعدها سأذهب لأرى ما يمكننى أن أصل إليه عن طريق الكاميرات، ثم سأعــود لأراجع كل ملفاتى وأعرف ما العلاقة بين (ياسر) والدخان..

قال (ديمترى):

- وأنا خلال دقائق سأطلب من الملازم (سامى) أن يذهب إلى المقبرة، أشعر أننا سنجد شيئًا هامًّا هناك..

بعد أن قالها غادرت المكتب مباشـــرة واتصلت بـ (ديالا)، تكلمنـــا قليلًا واطمأننت عليها وعلى (كريم)، وبعدها بأقصى سرعة نزلت إلى شعبة الأمن فى المبنى..

بعد أن عرفوا هويتى قاموا بإدخالى إلى الغرفة، لكنى فوجئت أن المسئول عن مفاتيـح التحكـم غير موجـــود، أخبرونـى أنــه سيعود بعد نصف ساعــة تقريبًا..

غادرت الغرفة وعدت فورًا إلى المكتب، جلست على مقعدى ودماغى يعصف كالإعصار داخل رأسى.. مليون صرخة، مليون صاروخ، مليون لكمة، مليون صفعة، أسمع كل هذه الأصوات فى رأسى.. وأشعر أننى على وشك التمزق!

فتحت حاسوبى وبدأت أبحث فى الأرشيف، أقرأ تفاصيل كل المهام التى قام بعملها (ياسر) كى أجد علاقة بينه وبين الدخان..

فى نفس الوقت، وصل الملازم (سامى) إلى المقبرة، نزل من سيارته واتجه نحو غرفة الحارس التى قرب الباب، وقال: - السلام عليكم، هل (حنفى) موجود؟!

أطل عليه (حنفى) من وراء الباب، كان بيده منديل كبير ينشف فيه يديه اللتين يتقاطر منهما الماء.. قال: - أهلًا.. تفضل..

قالها وهو ينظر للسيارة، لم يكن منظر سيارة الشرطة مألوفًا فى هذا المكان.. قال (سامى) وهو يقترب منه ويصافحه: - أنا الملازم (سامى) من الأمن العام.. نريد أن نتأكد من أحد القبور لو سمحت..

- قبر من يا باشا؟! أنت تعرف أننا لا نحتفظ بأى سجلات هنا، لا إلكترونية ولا ورقيــة.. ينتهى دورنـــا هنا بعد الدفــن، لا يحفظ مكان الميــت إلا القلب يا باشا..

ابتسم الملازم (سامى) للجملة وقال:

- أنت هنا منذ زمن بعيد؟!

- منذ أكثر من خمس عشرة سنة يا باشا..

- جنازات الشرطة قليلة وبالذات عند وجود شىء مهم، ولهذا أحببت أن أذكرك بجنازة حدثت هنا قبل سنوات، ثمانى سنوات بالتحديد، أحد الزملاء، اسمه (ياسر هنداوى) الـ..

فجأة قاطعه (حنفى) وقد جحظت عيناه:

- (ياسر هنداوى)؟!

ردة الفعل كانــت غريبـة.. تساءل (سامــى) بينه وبين نفسه؛ هــل من المعقول أن تكون ذاكرة (حنفى) قويــة حتى هذا الحدّ؟! هل يتذكر أسمــاء جميع الموتى؟!

بفضول وشكٍّ قال (سامى):

- نعم، (ياسر هنداوى).. هل تذكر الاسم؟!

قال (حنفى) بأنفاس متسارعة:

- ذاكرتى ليست كما يجب، ولكن ما حدث منذ يومين جعلنى أتذكر الاسم، عندما رأيته مكتوبًا على الشاهد..

اقترب منه (سامى) وقال بتوتر:

- شىء حدث منذ يومين؟! ما الذى حدث؟!

- هناك من نبش القبر يا باشا!

- قبر (ياسر)؟!

- نعم، عندما جئت صباحًا لم أجد شيئًا هناك.. لم أجد أى جثة، أو عظام، أو أى شىء.. فقط تراب!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كنت منغمسًا جدًّا وسط الملفات والتقارير، عندما مر من أمامى عدة مرات اسم (أكرم)..

(أكرم) هو شقيق (ياسر)، الذى أخـذ منى موقفًا عنيفًا جدًّا بعد الدفــن، لدرجة أنه لم يعد يكلمنى نهائيًّا، وكأنما يلومنى على موت (ياسر)، متناسيًا أننى أصبت معه بنفس الوقت..

كان مكان سكنهم قريبًا من منطقتنا، لكن بعد ما حدث غادروا المنطقة جميعهم، واختفوا تمامًا..

بعد عدة اتصالات استطعت أن أصل لرقم هاتفه.. أخذت نفسًا عميقًا عندما قال: - آلو..

صوته كما هو، تنحنحت وقلت:

- مرحبًا، أنا (سامر رمضان) يا (أكــرم).. أرجــو أن لا تنهى الاتصــال وأن تسمعنى، هذا الاتصال ضرورى..

مرت لحظة صمت قبل أن يقول ببرود:

- نعم يا (سامر)..

- أنت مصرّ أن تتكلم معى وأن تعاملنى بنفس الطريقة، منذ ذلك اليوم، وكأننى السبب الوحيد بما حدث، وأنت تعرف جيدًا أننى أصبت مثل (ياسر) رحمه الله، و..

قاطعنى:

- لا.. لا تقل إنك مثله، أنت حىّ وهو ميت!

التزمت الصمت مباشرة..

ما يزال حجم الألم كبيرًا داخله..

أى محاولة منطقية للكلام معه ستكون بلا جدوى!

أكمل بلهجة مستعجلة:

ـ.. ما الضرورى الذى تريد الحديث بشأنه يا (سامر)؟!

لوهلة، لم أعرف ما الذى يمكن لى أن أقوله.. ماذا سأقول له؟! عن ماذا سأسأله أو أخبره؟! عن شخص أخبرنى أنه سينتقم؟! عن شخص جاء إلى المبنى وادعى أنه (ياسر)؟! هل أسأله إن كان هناك أى علاقة بين (ياسر) وبين الدخان؟! أى دخان؟! عن ماذا أستفسر بالضبط وأنا لا أدرى ما علىّ قوله؟!

وجدتنى أقول:

- أريد أن أسألك سؤالًا عن (ياسر)..

بنفاد صبر وضيق قال:

- تفضل..

- هل كان له علاقة بالدخان؟!

سكت وسأل بفضول غريب، وصوته ممتلئ بعلامات الاستفهام: - أى دخان؟!

- أى دخان، لا أعرف.. مثلًا؛ هل كان يدخن سرًا؟! هل كان لديه صديق يعمل بشركة تبيع الدخان؟! هل كان يحب رسم الدخان؟! هل لديه قطع أثاث تشبه الدخان؟! هل تعرف أى شىء قد يعنى علاقة بين (ياسر) والدخان؟!

كان هناك شك كبير فى صوته وهو يسأل:

- ما هذا السؤال الغريب؟! ما الذى يحدث؟!

- توجد بين أيدينا قضية نعمل عليها الآن، أحد الأطراف يقول إنه لو عدنا لملفات (ياسر هنداوى) ووجدنا علاقة بينه وبين الدخان فسنجد الحل أو جزءًا منه..

بعصبية قال:

- هل هذا الكلام حقيقى؟! شقيقى ميت منذ سنوات وليس له علاقة بأى شىء..

حاولت أن أتحدث ببساطة وهدوء:

- نحن نسأل من باب التأكد فقط يا سيد (أكرم)، هل تعرف شيئًا أم لا؟! هل (ياسر) رحمه الله أخبرك أى شىء عن الدخان؟!

صمت بعد أن سألته، أعصابى تعيش حفلة شواء فريدة من نوعها داخل جسدى.. أرجو أن يكون عنده جواب شافٍ..

هذا الغموض مزعــج للغايــة.. أتمنــى يا (أكرم) أن يكون عندك أى شــىء يساعدنى، أى بصيص ضوء، أى بصيص أمل!

لكن جوابه بعد صمته كان:

- أعتذر منك، لا أذكر شيئًا.. آسف..

- أبدًا؟!

- لا للأسف..

- هل من الممكن أن تسأل والدتكما مثلًا؟! لعلها تعلم!

صمت لثوانٍ قبل أن يقول بلهجة قاسية:

- والدتى ماتت منذ سنتين..

قالها وأغلق الخط فى وجهى وتركنى غارقًا فى الإحراج!

ما الذى أقوله؟!

ما الذى أفعله؟!

جلست قليلًا، رتبت بعض الأوراق على المكتب، قبل أن يرن هاتفى برقم غريب.. أجبت الاتصال بحذر..

- آلو..

- سيد (سامر)، أنا الملازم (سامى) ...

- أهلًا (سامى).. الأمور كما هى عليه فى المقبرة، صح؟!

صدمنى:

- لا، قام أحدهم بنبش القبر، وليس هناك أى أثر لجثة أو عظام أو كفن أو بقايا المرحوم (ياسر هنداوى)!

شردت عيناى قليلًا وشعرت أننى أرتجف من الداخل..

ماذا؟!

مستحيل!

لكن، كيف؟! أين البقايا؟! ما الذى حدث؟!

- حسنًا، حسنًا، قم بتصوير القبر، التقط صورًا كثيرة، وتعال بعدها سريعًا كى أرى..

قلت هذه العبارة وأنهيت المكالمة، كى يرن بعدها هاتف المكتب، المقسم الداخلى..

أمسكت سماعة الهاتف بعصبية:

- من؟!

- (سامر) باشا، نحن شعبة الأمن.. جاء المسئول فيما لو أحببت أن ترى تسجيلات الكاميرات..

لا أدرى كيف كنت عندهم خلال دقائق، بعد أن سألت الشاب الذى يقف بالممر بجانب مكتبى عن الوقت التقريبى الذى جاء فيه الشخص ومعه العلبة..

أخبرتهم بالوقت تمامًا وجلست أنتظر وأنا أغلى من الداخل، وهم ينظرون لكل كاميرا بدقة وتركيز..

هل من المعقول أن يكون (أكرم) الذى لا يريد الحديث معى؟!

أم أحد الزملاء؟!

أم أحد المجرمين أو أقاربهم؟!

هل هو حارس المقبرة؟!

هل هو (ديمترى) أو (منذر)؟!

من هو؟!

لأننى أشعر بثقل هائل يضغط على صدرى، شعرت أننى على وشك الشك بالجميل، بطريقة غبية ومضحكة وغير منطقية..

قال المسئول:

- حسنًا، هذا هو..

قالها وهو يضغط زر تشغيل المقطع، عندما جاء الشخص الذى يرتدى ملابس الضابط، وأعطى العلبة للشاب الذى بالممر، بالقرب من مكتبى..

شهقت بقوة عندما اقترب بالكاميرا من وجهه قليلًا..

مستحيل!

مستحيل!

هذا هو!

.. هذا (ياسر)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٣ - هو نفسه!

كنت بحالة نفسية غريبة..

أشعر أنى أصدق، لكنى لست مصدقًا.. أرى ولا أرى.. متأكد ولست متأكدًا بنفس الوقت، وهناك ضيق صدر كبير!

هذا (ياسر)..

الذى بالفيديو هو (ياسر)..

لكن كيف؟!

مستحيل!

الموتى لا يعودون للحياة.. مستحيل..

بعد أن رأيت تسجيل الفيديو، رجعت وجلست فى المكتب مع (ديمترى)، وانضم لنا (منذر) بعدها.. كان لا بدّ أن يأتى كى يساعدنا بالتفكير على الأقل.. نحن على وشك أن نجنّ!

كنت أتنفس بصوت عالٍ، و(منذر) يقول بعد أن شرح له (ديمترى) ما نحن فيه بشكل كافٍ: - ما تقولونه باختصار، إن التواصل تمّ من قبل شخصٍ من المفترض أنه ميت، كما أنه يعرف بعض الأسرار الأمنية الخاصة، ويدّعى أنه يريد الانتقام من أجل شىء له علاقة بالدخان، وفى نفس الوقت أنتم متأكدون جدًّا أنه متوفٍ، وأنت يا (سامر) تقول إنكم دفنتموه بأيديكم، ومن المستحيل أن تكونوا قد أخطأتم بهذا الشىء، وأنه تم العبث بقبره قبل أيام، ولا يوجد أى أثر لبقاياه..

هز (ديمترى) رأسه وقال بعد أن أخذ نفسًا عميقًا: - بالضبط، هذا هو الملخص..

جلس على المقعد الذى أمامى وعقد حاجبيه وهو ينظر إلىّ، قبل أن يسأل: - وما الذى تتوقعه أنت؟!

- أنا؟! لا أعرف.. لا أعرف شيئًا.. هذا شخص يُفترض به أن يكون ميتًا، لكننى رأيته على الكاميرا أحضر لى علبة هنا!

قلب (منذر) يديه وقال بحيرة:

- كيف؟! هناك شىء غير منطقى..

سألنى (ديمترى):

- ألم يقل لك (أكرم) شقيق (ياسر) أى شىء عن الدخان؟! أم أنه ليس لديه أى علم بهذا الشأن؟!

- لا، كان مستغربًا جدًّا من السؤال، والمكالمة بشكل عام لم تكن أكثر من إزعاج لا داعى له، بالنسبة له..

- إذن لا تقف عند (أكرم)، انتقل للنقطة التالية مباشرة، حاول استكشاف خيارات أخرى..

- مثل ماذا؟!

- أنت تعرف أكثر منى يا (سامر).. كان (ياسر) زميلك أنت، (ياسر) تكلم معك أنت، (ياسر) جاء هنا وترك علبة لك أنت.. فكر بشكل عميق أكثر، فكر أكثر، من قد يعرف أشياء أخرى تساعدك على معرفة الأجوبة؟!

حاولت أن أعتصر مخى وأنا أفكر..

كيفما كـــان، من المستحيل أن يكون (يـاســـر) مع أننـى رأيتـــه بعينى فى الفيديو!

مستحيل.. ثمة شىء غامض، أو حلقة مفقودة..

نهضت فجأة وقلت بحماس:

- هذا ليس (ياسر).. حتمًا..

قال (منذر):

- كيف؟!

- الصوت!

- أى صوت؟!

- صوت الشخص الذى هاتفنى، هذا ليس صوت (ياسر)، كما أن الشخص الذى جاء هنا كان يشبه (ياسر)، لم يبق إلا حل واضح وسهل وبسيط: إنه يرتدى قناعًا بالتأكيد!

تمتم (ديمترى):

- ربما كانا شخصين مختلفين!

- شخصان مختلفان؟!

سألت وفكرت.. نعم.. قد يكونان شخصين مختلفين! تكلم أحدهما معى، وجاء الآخر مع العلبة هنا..

لحظة! تذكرت الآن، أخبرنى هو نفسه أنه يستعمل جهازًا لتغيير الأصوات، وأنا حاولت أن أصل إلى الصوت الأصلى بلا فائدة..

مممممم! لا أدرى..

كل شىء وارد بهذا اللغز الغريب المجنون، الذى لا أعرف من أين أتانى فجأة!

قال (منذر) فجأة:

- عندى فكرة..

- نعم؟!

- أن نستدعى أحد الخبراء الأمنيين كى يرى الكاميرات، ويفحص وجه (ياسر) بكل الإمكانيات المتاحة..

ابتسمت لأن الفكرة بسيطة لكنها لم تخطر فى بالى، ربما من الصدمات المتتالية.. كلام جميل جدًّا، وقال (ديمترى) وهو يرفع هاتفه: - حسنًا، سأطلب أن يأتينا أحدهم..

وبينما كان يتكلم مع قسم الجرائم الإلكترونية، كى يرسلوا لنا أحد خبرائهم، قلت مخاطبًا (منذر): - أنا عندى فكرة أيضًا..

- وما هى؟!

- خبير خطوط!

ظهرت ملامح عدم الفهم على وجهه، فقلت وأنا أريه الكشف الذى فيه التوقيع: - كى نقطع الشك باليقين، الشخص الذى كان هنا، كتب اسمه ووقع أنه (ياسر)، وهناك صور وتسجيلات كثيرة لأوراق مكتوبة بخط وتوقيع (ياسر) فى أرشيف الإدارة.. أعتقد أننا سنصل لجواب مريح لو طلبنا من خبير خطوط أن يقارن بين الخط الذى فى هذا الكشف وخط (ياسر) الأصلى، مع أننى متأكد بقوة أنه لن يكون خطه، أو سيكون مزورًا عن خطه بمهارة شديدة..

قلب شفتيه بإشارة تدل على الإعجاب، بنفس الوقت الذى قال فيه (ديمترى): - عظيم، هكذا سنسمع رأيين من خبيرين، ونتأكد بشكل كامل من ماهية ما تواجهه يا (سامر)..

قال (منذر) وهو يضع يده على كتفى:

- سيكونون هنا خلال ساعة، وأقترح عليك فى هذه الساعة أن تستريح قليلَا، تناول شيئًا، صلّ، اهدأ.. لا تتعب نفسك وأعصابك، سنصل إلى حل ولن يكون هناك مشكلة بإذن الله..

- بإذن الله، بإذن الله..

قلتها وأنا أهزّ رأسى وأخرج من المكتب، وفعلًا كما قال لى ذهبت وصليت، ونزلت إلى مطعم قريب، تناولت شطيرتين، ثم عدت للمكتب وجلست أمام حاسوبى مرة أخرى، فى محاولة جديدة للبحث فى الملفات القديمة..

فجأة رن المقسم:

- (سامر) باشا، ثمة من يرغب برؤيتك..

- من؟!

- اسمه (أكرم هنداوى)!

شعرت بدهشة شديدة.. (أكرم) هنا؟!

شقيق (ياسر)؟!

لماذا؟! هل يعرف شيئًا؟! كنت أتكلم معه منذ ساعتين وكان فى غاية الانزعاج منى.. ما الجديد؟!

طلبت منه أن يدخل ونهضت مباشرة وفتحت الباب، كان (أكرم) واقفًا، وكان ممتقع الوجه..

ملامحه تمتلئ بالذهول، صافحته ودخلنا وجلسنا، جلس أمامى وقال مباشرة بعصبية كبيرة: - أحدهم نبش قبر (ياسر)!

قمت بهزّ رأسى وأنا مندهش أصلًا من كونه قد عرف: - نعم للأسف، عرفنا قبل قليل..

قال وهو يلوح بيديه:

- ما الذى يحدث بالضبط يا (سامر)؟! عندما كلمتنى كنت قريبًا من المقبرة، وبعد اتصالك وجدت نفسى مندفعًا للذهاب مباشرة إلى قبر (ياسر) رحمه الله، لكنى صعقت عندما رأيته.. من فعل هذا ولماذا؟! ماذا يريد العالم من شقيقى بعد موته؟!

تنهدت بأسف حقيقى وقلت:

- نحن فى حيرة أكبر بكثير من حيرتك يا (أكرم).. صدقنى، أنت لا تعلم ما حدث منذ الصباح..

- وما الذى حدث منذ الصباح؟!

سألنى واضطررت أن أجيب، بعد حضوره واكتشافه ما حدث بقبر (ياسر) شقيقه.. أخبرته عن الاتصال، والدخان، والمعلومات، والعلبة التى جاءتنى، حتى أننى جعلته يرى الفيديو الذى يظهر فيه (ياسر)، والذى أرسله لى الأمن عبر الإيميل..

كان مصعوقًا!

كان مصعوقًا بشكل هائل، وصارت شفته السفلى ترتجف بطريقة غير طبيعية..

اقترب بوجهه من الشاشة وقال:

- لكن هذا مستحيل! أنا غسلته ودفنته بيدى!

- وهذا ما أقوله أيضًا يا (أكرم).. من المستحيل أن يكون (ياسر) لأنه مات، والموتى لن يعودوا للانتقام أو لأى سبب..

كان من الواضح عليه الارتباك، والحيرة، وعدم الفهم..

كان يحاول أن يحلّل، أن يصل لجواب، مثلى..

اقترب بوجهه من الشاشة أكثر، وفجأة هز رأسه يمينًا ويسارًا وقال بثقة: - نعم، هو ليس (ياسر) بالتأكيد..

- كيف؟!

ابتسم وقال:

- هذا الشخص كتب ووقع بيده اليمنى..

- إذن؟!

- (ياسر) لا يكتب باليمنى مطلقًا! (ياسر) أعسر!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رفعت حاجبى للأعلى:

- هل أنت متأكد؟!

وضع إحدى ساقيه فوق الأخرى:

- هذا شقيقى يا (سامر).. شقيقى.. هو هكذا طوال عمره..

اتصلت بـ (ديمترى) مباشرة:

- (ديمترى)..

- هل عندك أخبار جديدة يا (سامر)؟!

- عندى ضيف بالمكتب، (أكرم) شقيق (ياسر) رحمه الله..

باستغراب قال:

- بمكتبك؟! ما الذى يريده؟!

- تكلمنا قليلًا، ورأى الفيديو، وأكد لى أنه من المستحيل أن يكون (ياسر)، لأنه أعسر، بينما الشخص الذى بالفيديو قام بالكتابة والتعليق بيده اليمنى..

ضحك (ديمترى) وقال:

- حسنًا، إن كان الأمر هكذا فليس من داعٍ لحضور خبير الخطوط، هذا المحتال يزور الخطوط ببراعة..

- نعم، لكن لا بدّ من حضور الخبير الأمنى كى يفحص الكاميرات وتسجيلات الفيديو، لعله يكتشف شيئًا لا نراه بالعين المجردة، ربما أثر لقناع مادى أو إلكترونى.. أى محاولة للتشويش على التسجيلات بأى مصدر، لا بد أن يعرفها كلها..

- حسنًا..

أنهيت المكالمة ورفعت عينىّ باتجاه (أكرم) وقلت بامتنان: - أشكرك، كنا متخبطين لكننا الآن أصبحنا متأكدين بفضلك، هذا محتال وينتحل شخصية (ياسر)، كى ينتقم منى!

قال بتوتر وهو يفرك أصابعه:

- إن كان هناك أحد يريد أن ينتقم منك، هو أنا بكل صراحة، لأننى متأكد أن إهمالك أو تقصيرك هو سبب مباشر بوفاة (ياسر)، لكننى لن أنتقم طبعًا وإلا كنت غبيًا، أشعر أن هناك سببًا خفيًا آخر، وأعتقد أن (ياسر) ليس أكثر من واجهة للسبب الحقيقى الذى يريد أن ينتقم منك لأجله..

- إذن هل هو أحد الزملاء من الماضى؟! من ولماذا؟! المشكلة أن هذا مستبعد جدًّا أيضًا..

- يجب أن تفكر بكل الاحتمالات يا (سامر)، كلها..

قالها ونهض، فنهضت بدورى وصافحته، وأشرت بإصبعى وقلت: - أرجو منك أن تفكر معى أيضًا، يا (أكرم)..

بدهشة سألنى:

- كيف؟! أفكر بماذا؟!

- بموضوع الدخان، يجب أن تفكر معى، لقد كشفت لك كل الأوراق، لا بدّ أن تساعدنى، هناك علاقة بين (ياسر) والدخان.. يجب أن تكون هناك علاقة..

باهتمام كان يسمعنى، وهناك شرود فى عينيه، وكأنما يحاول أن يتذكر شيئًا.. ضيق عينيه وعقد حاجبيه، غاب فى البعيد، وشعرت بأمل كبير، أتمنى أن يكون عندك تفسير يا (أكرم).. أتمنى..

قال ببطء:

- يجب أن أتأكد من بعض الأمور ثم سأخبرك، غرفة (ياسر) ما تزال كما هى فى بيت أهلى، منذ أن توفى لم نقترب منها أو نعبث بأى شىء فيها، فقط نفتحها كل فترة كى ننظفها كى لا تتجمع فيها حشرات أو عناكب.. سأتأكد وأبحث بين أوراقه وملفاته، لعل هناك أى إشارة تدلنى على الدخان، أستبعد تمامًا، لكن كما أخبرتك؛ يجب أن نجرب كل الاحتمالات..

قالها وصافحنى ثانية، ثم غادر المكتب..

جلست فى مكانى وأنا أفكر بكل شىء، وأراجع كل كلمة، أحاول أن أرى الأمر من كل الزوايا..

فجأة رن هاتفى، رقم خاص..

هل هذا هو؟!

بحذر أجبت:

- آلو..

سمعت نفس الصوت الذى كلمنى صباحًا يقول بثقة: - مساء الخير يا (سامر)..

اندفعت وقلت بتسرّع:

- أنت لست (ياسر)!

أطلق ضحكة قصيرة لعينة ثم قال:

- أنا (ياسر) ولست (ياسر)، ولن أفسر عبارتى لك الآن..

- ما الذى تريده؟!

- هل تريد أن يبقى (أكرم) حيًّا؟!

قالها بلهجة قاسية وشعرت لحظتها أنى مركب صغير وسط عاصفة متلاطمة وسط البحر، شعرت بمخى يركض داخل جمجمتى!

ماذا؟!

هل يعرف أن (أكرم) كان عندى؟!

لماذا يسألنى هذا السؤال عن (أكرم)؟!

هل أريد أن يبقى (أكرم) حيًّا؟!

طبعًا أريد أن يبقى حيًّا!

لكن، لماذا يسألنى؟!

هل ما أفكر به معقول، أو حقيقى؟!

هل الفكرة القذرة المجنونة التى تدور برأسى مثل نحلة الآن ذاتها التى فكر بها؟!

هل يراقبنى هذا الوغد طوال الوقت؟!

قال ببرود شديد:

- لو كنت تريد له أن يعيش، أخبره أن ينتبه!

قالها وأغلق الخط، ومرت ثوانٍ وأنا أحدق بالهاتف دون أن أعرف ما العمل، قبل أن أنهض من مكانى وأركض، فتحت الباب وغادرته متجهًا بأقصى سرعة وجنون محاولًا أن ألاحق (أكرم)..

ما قاله تهديد مباشر بقتل (أكرم)، ويجب أن أمنع هذا..

يجب!

آخر ما أريده أن أكون سببًا مباشرًا بموت (ياسر) قبل ثمانية سنوات، وبموت شقيقه (أكرم)، الآن!

بالطبع لا، بالطبع لا..

نزلت السلالم وكلى قلق وتوتر وخوف ورعب، ينظر الجميع نحوى دون أن أعير أى اهتمام لهم.. كان من الواضح على ملامحى حجم الصراع الذى يدور بأعماقى، الجنون يتفجر من عينى، انفعالاتى ممتلئة بالرعب المطلق، وأنا

أريد أن أصل باب المبنى، وأرى موقف السيارات الذى أمامه، والذى كان فيه (أكرم) يمشى ببطء، شيئًا فشيئًا باتجاه سيارته..

كنت ألهث، صدرى يخفق بشدة، يرتفع وينخفض بقوة، توقفت وناديت بأعلى صوتى: - (أكرم)..

لم ينتبه لى فركضت من جديد باتجاهه وأنا أنادى اسمه طوال الوقت، بنفس اللحظة التى أصبح هو قريبًا من سيارة (نيسان) لونها أزرق، على وشك أن يفتح بابها..

كنت قريبًا منه عندما أدار وجهه باتجاهى، كانت الدهشة تغمره لأننى قريب منه وأنادى عليه.. قال: - نعم يا (سامر)، ماذا هناك؟!

قالها بنفس الوقت الذى أصبحت فيه عنده، أخذت أتلفت حولى بعصبية، أمسكت يده لأبعده عن السيارة وأنا أقول: - اتصل بى الوغد للتو، وقام بتهديد حياتك!

بذهول قال:

- حياتى أنا؟! لماذا؟!

كنت أود أن أجيبه لولا أننى سمعت الصفير..

هذا الصفير المميز..

أستطيع تمييزه جيدًا!

هذا صفير لا يصدر إلا من قاذفة صواريخ!

بدون وعى شددت (أكرم) باتجاهى وأوقعته على الأرض، تقريبًا بنفس اللحظة التى مر فيها الصاروخ من فوقنا..

وانفجرت السيارة!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٤ - الانفجار!

صوت الصفير..

وجه (أكرم)..

وجه (ياسر)..

السيارة الزرقاء..

والانفجار!

العتمة، السواد، الظلام، والوجع..

وفجأة نهضت وأنا ألهث، أنظر حولى بينما الرؤية مشوشة، وصدرى يرتفع وينخفض بقوة..

كنت بغرفة مستشفى، و(ديالا) و(كريم) أمام سريرى، وتبدو على ملامحهما علامات الصدمة الكاملة، وبقربهم كان يجلس (ديمترى)، ويبدو عليه التعب..

ابتسمت رغم أنفى رغم الآلام فى جسدى كله، وأمسكت (ديالا) يدى وهى تقول بفرح: - الحمد لله على سلامتك، هل استيقظت؟! هل أنت واعٍ؟!

بصعوبة قلت:

- الحمد لله، أنا بخير.. أنا بخير.. ما الذى حدث؟!

فرك (ديمترى) يديه ببعضهما وقال وهو يقترب منى:

- كان يوجد شخص معه قاذفة صواريخ، وأطلق منها صاروخًا فجّر سيارة (أكرم)، ولولا رحمة الله لما بقيتما أحياء!

انتبهت كل حواسى وقلت بلهفة:

- (أكرم)! ماذا حدث له؟! هل هو بخير؟!

عض على شفته السفلى وقال وهو يحرك رأسه يمينًا ويسارًا: - حظك أفضل من حظه، أنت أصبت بعدة أماكن فى جسدك من قوة الانفجار، ولكن بالنسبة له، هناك شظية كبيرة اخترقت ظهره، وهو الآن فى غيبوبة..

- غيبوبة؟!

- نعم، معلق بين الحياة والموت!

شعرت بآلام جسدى تتضاعف أكثر..

ما الذى يحدث ولماذا؟!

ما علاقة (أكرم)؟!

رفعت نفسى للخلف قليلًا بمساعدة (ديالا)، التى مدت أصابعها وتحسست وجهى وهى تقول: - ما الذى يحدث يا (سامر)؟! من استهدفك هكذا؟!

قال (ديمترى):

- يبـدو أنــه من أعداء (سامر) القدامى.. لكن لا تقلقى، لن يكـون هناك إلا الخير إن شــاء الله، أخبرنى رجال المخابرات العلمية أنهم بالاتفاق مع الأمن العام وضعوا العديد من رجال الأمن عند باب المستشفى، وعند باب الغرفة، وسنرجع للكاميرات كى نرى من فعل هذا، وسنعرف من هو، ونكمل التحقيق..

هزت (ديالا) رأسها بحركة ليس لها أى معنى، بنفس الوقت الذى انتبهت فيه أنه قال شيئًا عن الكاميرات.. فقلت: - كان من المفترض أن يحضر الخبير الأمنى كى يرى الكاميرات يا (ديمترى)، ما الذى اكتشفه؟! وهل عرفتم أى شىء عن الذى فجر السيارة؟! من هو وأين ذهب؟! أى أثر؟!

- لا للأسف، وجدنا قاذفة الصواريخ على سطح مبنى قريب، ولكن لا توجد كاميرات هناك، بنفس الوقت جاء الخبير الأمنى بالأمس ولم يجد أى شىء..

بدهشة مزدوجة قلت:

- لم يجد شيئًا؟! ولا أى دليل على قناع إلكترونى أو مطاطى؟!

- لا..

- وكيـف جـاء الخبير بالأمس؟! كــم مر علـىّ من الوقت وأنا فاقــد الوعى يا (ديمترى)؟!

- منذ الأمس يا (سامر)..

أخذت نفسًا عميقًا واسترخيت على السرير مرة أخرى.. (كريم) كان خائفًا، فى وجهه رعب، مددت يدى وأمسكته، قربته نحوى، وقدر استطاعتى حضنته بمعاونة (ديالا)، مر وقت وأنا أنظر فى عينيه مباشرة، محافظًا على ابتسامة صنعتها للتو: - لا تخف يا بابا.. بابا قوى وسيعرف الشخص الذى فعل هذا وسيجلبه للعدالة، وسيُعاقب ويُسجن..

سكت (كريم) قليلًا قبل أن يقول وعيناه تلمعان:

- مثل سبايدرمان؟!

ابتسمنا كلنا لا إراديًّا، وقلت:

- نعم، مثل سبايدرمان، سألقى القبض عليه، وسيضعه عمو (ديمترى) فى السجن بالتعاون مع عمو (منذر)..

قال (ديمترى) وهو يمسح على شعر (كريم) برفق:

- عندما تكبر، نريدك أن تكون بطلًا مثل بابا..

غمزت (ديالا) بإشارة واضحة، فأمسكت بيد (كريم) وأخذته خارج الغرفة، جلس (ديمترى) أمامى وقال: ـ.. عليك بدورك ألا تقلق، زرعنا العديد من الكاميرات حول المستشفى، وهناك رجال أمن فى كل مكان..

- لكنه لا يريد أن يقتلنى يا (ديمترى)!

قلتها فاستغرب جدًّا (ديمترى) من العبارة:

- ماذا؟!

- لا يريد قتلى! لو كان يريد أن أموت لفعلها منذ البداية!

بصوت حاد عصبى قال (ديمترى):

- لكنه أطلق عليك صاروخًا يا (سامر)!

قلت محاولًا توضيح وجهة نظرى:

- لم أكن المستهدف.. (أكرم) كان المستهدف، وبسببى أنا وبسبب أننى أدخلته فى التحقيق..

قال بصوت عالٍ، وبحيرة كبيرة:

- لكن، لماذا يستهدف (أكرم)؟! ما الذى يعرفه (أكرم) ولا يريد من أحد أن يعرفه؟!

- لا نعلم، علينا أن ننتظره حتى يفيق من غيبوبته..

مرت لحظة صمت ونحن نفكر، ثم قلت:

- تذكرت شيئًا..

- ماذا؟!

- الشخص الذى تكلم معى، قال لى إنه كان يستخدم جهازًا لتغيير الأصوات، لقد نسيت تمامًا أنه أخبرنى بهذا، وبعدها حاولت أن أتأكد وأعرف الصوت

الأصلىّ ولم أستطع، رغم أننى استعنت بكل خبراتى فى المجال..

- أبدًا؟!

- أبدًا، ولا حتى رقم هاتفه.. يبدو أنَّ هناك تقنية جديدة كليًّا وهو يستخدمها..

قال (ديمترى) بحزم بعد أن أخذ نفسًا عميقًا:

- تقنيات جديدة، وإطلاق صواريخ، ومعلومات خاصة، وانتحال شخصية ضابط! هذا ليس شخصًا عاديًّا، وأعتقد أنه ليس مجرد شخص واحد..

بدهشة قلت:

- ليس مجرد شخص واحد؟!

أشار بسبابته وأجاب ببساطة:

- احتمال كبير، حاول أن ترى الأمر من الأعلى وستفهم ما أقصد؛ هذا عمل منظم، أشبه بعصابة كبيرة، أو منظمة إجرامية، عندهم غاية أكبر من أنهم يوصلون علبة دخان هنا على المكتب، أو أن يحاولوا قتل (أكرم) شقيق (ياسر)، والذى لا نعرف عن أى علاقة بينهما وبين الدخان!

الكلام منطقى..

من الممكن جدًّا أن يكون مجرد شخص عادى، أى عمل فردى، ولكن الاحتمال الأكبر أن يكون عملًا جماعيًّا منظمًا.. لكن لماذا؟! ما الغاية؟! من أجل من؟! كل هذا كى ينتقموا لوفاة (ياسر)؟! وهل هذا يفسر محاولة قتل (أكرم)؟!

هناك حلقة مفقودة..

أين الحلقة المفقودة؟!

ثمة غموض مزعج!

هذا بعيد أيضًا عن موضوع الدخان ذاك، هو لوحده قضية أخرى.. لـــم يخبرنى هذه المعلومة عبثًا، هناك غايــة حتمًا، وما دام الغموض شديــدًا فالمعلومة مدفونة، يعلم الله وحده أين ولماذا؟!

يجب أن أتعب حتى أجدها..

نهض (ديمترى):

- يجب أن أذهب، لو حدثت أى تطورات جديدة سأخبرك، وأنت أخبرنى أيضًا، أريد أن أعرف أولًا بأول..

وغادر الغرفة كـى تدخل (ديالا) مباشرة ومعهـا (كريم)، الذى كـان نائمًا بحضنها.. وضعته على المقعد الطويل بالغرفـة وجلست على طرف السرير، وسألتنى مباشرة: - هل يريد أحدهم أن ينتقم منك؟!

- هذا ما يبدو الأمر عليه..

- (سامر)، أرغب بسؤالك سؤالًا لم أسألك إياه من قبل..

- ماذا؟!

بشكل مباشر قالت:

- فهمت من (ديمترى) أنك كنت سببًا مباشرًا بقتل الكثير من الناس، أثناء عملياتك وقضاياك وعملك هذا، فالسؤال: هل شعرت بالندم يومًا على قتلك أحدهم؟!

استرجعت الكثير من الصور، الخيالات، الأفكار، الذكريات، الرصاص، الدم والأشلاء والانفجارات، هززت رأسى بقوة: - لا، لأن هذا واجبى..

- ألم تشعر ولو مرة بأى تأنيب ضمير، لأن أحدهم على علاقة عاطفية مع أحد، أو أنه أب ولديه أطفال، أو أن والديه سيصابان بانهيار فى المشاعر بسبب موت ابنهما؟!

قمت بتحريك رأسى من جديد:

- لا أرى الأمور من هذه الزاوية، لأنه حتى السفاح أو القاتل المتسلسل حنون مع أولاده، لكنه يتحوّل إلى ذلك المجرم البغيض الآخر عندما يخرج من بيته، حيث تظهر حقيقة أمراضه النفسية، ويبدأ بعدها بقطع رءوس الناس أو اغتصاب الفتيات ليلًا بعد أن يخطفهنّ.. لست نادمًا على قتل أىّ أحد، لأنه إما كان يريد أن يقتلنى، وقمت بالدفاع عن نفسى كما يجب، أو أنه كان ينبغى أن يموت بلحظة معينة، أكون متأكدًا فيها أنه لو دخل السجن سيستطيع الهرب، أو ربما يدفع أموالًا ويهدد بعض رجال الأمن أو القضاة كى يمارس إجرامه من جديد..

بتساؤل حقيقى قالت:

- هل هذا يعنى أنك ترى نفسك أحيانًا مخوَّلًا لتقوم بدور القاضى والمحكمة ما دامت يدك هى التى تحمل المسدس؟!

- عندما أرى أنـه يستحق الموت، ولديـه رصيد جرائـم تجعله يستحق الموت، وأكون أنا بين قرارين، وكى أختار واحدًا فيهما يجب أن يموت هو،

وقتها سأختار حتمًا أن يموت، وقتها سيكون موته هو الأقل ضررًا، وقتها أو مستقبلًا..

هزت رأسها وأنا مستغرب من السؤال..

لماذا تسألنى (ديالا) سؤالًا كهذا؟!

عادى.. ربما من باب الفضول، أو كى تتأكد أنها لم تتزوج وحشًا، أو شخصًا خاليًا من المشاعر!

فجأة فُتح الباب، ودخل منه ممرض طويل القامة، لحيته خفيفة وشعره خفيف، وفيه وسامة، وقال وهو يدفع عربة صغيرة أمامه: - مرحبًا، كيف حالك أستاذ (سامر)؟!

- بخير والحمد لله..

- الحمد لله على سلامتك..

قالها وطلب من (ديالا) أن تنتظر خارج الغرفة قليلًا، كى يعطينى إبرة ويقوم ببعض الفحوصات السريعة لأماكن الإصابات فى جسدى، ابتسمت ونهضت وغادرت الغرفة وأغلقت الباب خلفها..

اقترب الممرض منى وقال بصوت منخفض وهو يسحب إبرة من العربة التى معه: - هل تعرف من يمكن أن يساعدك فى قضيتك الحالية يا سيد (سامر)؟!

قضيتى الحالية؟!

أى قضية؟!

رفعت عينىّ نحوه وسألته:

- أى قضية؟!

قال وهو يمسك ذراعى من الأعلى، ويرفع صوته قليلًا: - الدخان! يجب أن تسأل عن الرائد (سليمان شكيب)!

قالها فالتفت إلى وجهه برعب وقلق، بينما ارتسمت على وجهه ابتسامة صفراء لعينة، وهو يدفع السائل الذى داخل الإبرة، فى عروقى مباشرة..

لحظة!

هذا الصوت..

هذا نفس صوت الشخص الذى كلّمنى على الهاتف!

هذا نفس صـوت الذى أخبرنى أنـه يريد أن ينتقـم منـى بسبب مـوت (ياسر هنداوى)!

كنت أريد أن أصرخ، أن أنهض، أن أفعل أىّ شىء، لكنه كان حذرًا وأسرع منى، عاجلنى بضربة قوية بكوعه على وجهى مباشرة بعد أن سحب الإبرة من يدى..

من قوة الضربة ومن قوة السائل الذى قام بحقنه إياى، وجدت نفسى أغطس فى غيبوبة جديدة..

فى بئر أسود ليس له نهاية!

كأنى أسقط من ناطحة سحاب عملاقة، أسقط للأسفل، والأصوات تنحسر بعيدًا عنى وعن سمعى، ووعيى يتسرب منى..

و..

« سامر »!

صـــوت (ديالا) الأبيض يخترق السواد، صـــوت (كريم) أيضًا، وصـــوت (ديمترى)..

« سامر »!

صوت (منذر) اخترق العتمة كذلك، وصوت فتاة، ووراءها صوت شاب، وشاب آخر..

وفتحت عيونى، أيضًا فى المستشفى، ولكن هناك عددًا كبيرًا من حولى! الجميع، ينظرون إلىّ بقلق..

- هل ألقيتم القبض عليه؟!

صحت بهذه العبارة بعصبية وأنا أحاول أن أعتدل وأجلس، ساعدتنى (ديالا) من جهة و(ديمترى) من جهة..

الحيرة كانت هى الجواب للسؤال الذى سألته!

قال (منذر) بدهشة:

- ألقينا القبض عليه؟! من؟!

- لماذا كلكم هنا؟! أليس بسببه؟!

قالت (ديالا):

- ما الذى تقوله؟! وعن من بالضبط؟! نحن هنا بسبب الهبوط المفاجئ فى نبضات القلب، سمعنا صوت الأزيز من الجهاز ووجدناك فى غيبوبة.. ربما منذ ساعتين وأنـ..

قاطعتها بانزعاج وأنا أنقل نظراتى بين الجميع:

- لا! الممرض الملتحى الذى كان عندى قبل قليل، هو نفسه الذى فعل بى هذا!

اتسعت عينا (ديالا) بخوف وسألت:

- الذى دخل هنا وقال إنه يريد أن يعطيك إبرة؟!

هززت رأسى بحدة، بينما قال ممرض يقف بالقرب منى:

- عفوًا، أنا الممرض المناوب، هل دخل هنا أحد غيرى؟!

قبل أن أقول شيئًا، وقبل أن تعلق (ديالا)، قال رجل الأمن المكلف بأن يقف عند باب الغرفة وهو يشير بيديه: - نعــم، أنا أدخلتــه، ممرض لحيتــه خفيفة وشعره خفيف ووسيــم نوعًا ما، طلب أن يدخل الغرفــة عندك يا سيــد (سامر)، وكان يدفـع أمامـه عربــة من عربات المستشفى، وكان يرتدى الثوب الأبيض الذى يرتديه طاقم التمريض..

والتفت نحو (ديمترى) وقال بلهجة كلها أسف:

ـــ.. إن كان هذا بسببه فأنا أعتذر جدًّا، أعتذر، وأتحمل المسئولية كاملة، هذا خطأى، وأنا الذى أدخلته الغرفة من غير أن أتأكد إن كان ممرضًا حقيقيًّا من المستشفى أو لا..

عقد (ديمترى) حاجبيه، وبدا عليه التفكير العميق، وهناك غضب فى وجهه.. أنا أيضًا كنت على وشك أن أجنّ.. اقترب (ديمترى) من رجل الأمن وربت على كتفه وقال: - لا، ليس خطأ منك..

والتفت للجميع وقال:

ـــ.. هذا ليس خطأ أى منا، نحن نتكلم عن شخص أو منظمة، بغاية الذكاء والجرأة والقوة، حيث إنهم أرسلوا شخصًا هنا للمستشفى، ليعطى (سامر) إبرة فيها مخفض لنبضات القلب فقط لا غير، بعد أن دخل هو و(أكرم) المستشفى بسبب الصاروخ الذى انطلق من مبنى قريب من مبنانا..

شهيق وزفير، وبعدها أكمل وهو ينظر إلىّ:

ـــ.. هل تعلم أنَّ نظريتك صحيحة؟!

- أى نظرية يا (ديمترى)؟!

سكت وهو ينظر إلى (كريم)، قلت لزوجتى أن تأخذه وتنتظر قليلًا فى الخارج، (منذر) أيضًا قام بعمل إشارة خرج على أثرها الجميع من الغرفة.. لم يبق سواى أنا و(ديمترى)، الذى اقترب منى وقال بعد أن تثاءب: - نظريتك صحيحة، لو أنه أراد قتلك لفعلها بلا تردد، كان بإمكانه أن يحقنك بسائل سام، أو بالهواء، لكنه قام بإعطائك شيئًا يخفض ضربات القلب خلال دقائق، مع مادة منومة..

فكرت وقلت:

- هذا يؤكد أنه لا يرغب بقتلى..

- نعم، بالطبع..

- هذا معناه يا (ديمترى) أنه يثق بنفسه وقدراته حتى أقصى حد، إلى الغرور وأكثر..

فجأة تذكرت..

فجأة وجدت نفسى أصرخ بصوت مرتفع:

- (سليمان شكيب)!

حدق (ديمترى) بوجهى عندما قلت الاسم، وقال وهو يضيق عيونه ويقترب منى: - (سليمان شكيب)؟! من أين تعرف هذا الاسم؟!

- أخبرنى إياه الممرض المزيف قبل أن يعطينى الإبرة!

بذهول قال وهو يرفع حاجبًا للأعلى:

- أخبرك إياه؟!

كنت مستغربًا أكثر منه:

- نعم، قاله لى، قال لى أن أبحث عن الاسم، الرائد (سليمان شكيب)، قال لى إنه سيساعدنى بمعرفة موضوع الدخان!

سكت، فسألت:

ــ.. هل تعرف الرائد (سليمان شكيب) يا (ديمترى)؟!

أمسك هاتفه وبدأ يبحث فيه:

- نعم، أعرفه، كنا زملاء فى عدة أماكن، علاقة سطحية نوعًا ما، لكنى لم أره منذ سنوات، ربما منذ ست أو سبع سنوات، لا أدرى.. لكن، ما علاقة (سليمان

شكيب) بالدخان؟! أو علاقته مع (ياسر هنداوى)؟! أو بهذا الموضوع كله أصلَا؟!

قلت:

- هناك سبب حتمًا يا (ديمترى)، لن يقول الاسم عبثًا..

بحث قليلًا بهاتفه حتى وجد ما يريد، ثم ضغط على زر الاتصال، وانتظر قليلًا، وقال: - آلو، كيف حالك (داود) باشا؟! هل تذكر الرائد (سليمان شكيب) الذى كان معنا فى تلك الوحدة الليبية التكنولوجية؟! نعم.. هل تعرف أين يمكن أن أجده؟!

سأل السؤال وسمع الجواب، ثم أغلق الخط.. وقال:

ـ.. (سليمان شكيب) فى (قبرص)، استقال من الأمن قبل ثمانى سنوات، فى نفس الشهر الذى مات فيه (ياسر)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نعم؟!

ماذا؟!

هذا غريب جدًّا!

(سليمان) استقال فى نفس الشهر الذى مات فيه (ياسر) قبل ثمانى سنوات، بدون أن يربط أحدهم بين الأمرين؟!

بالطبع، من المجنون رائق البال الذى سيرغب بالربط بين وفــاة شخص أثناء عملية جلب ميكروفيلم من جاسوس إسرائيلى، وبين استقالة شخص من الأمن؟!

لا يوجد أى رابط..

المشكلة الأكبر: لا يوجد الآن أى رابط أيضًا! لا يوجد ما يجمع الاثنين ببعضهما، لولا أنَّ وفاة الأول واستقالة الثانى فى نفس الشهر، وأنّ الذى لفت نظرى للأمر هو ممرض ملتحٍ أعطانى إبرة أدخلتنى فى غيبوبة لمدة ساعتين!

ما العلاقة؟!

ما هذا الغموض الهائل بالضبط؟!

لست أفهم شيئًا.. لست أفهم شيئًا.. لكن على الأقل، هناك عدة خيوط بين أيدينا وعلينا أن نتأكد من كل شىء..

عندما يصحو (أكرم) سنحاصره بالأسئلة، أعتقد أنه يعرف شيئًا، أظن أنه لو بحث بشكل أكبر سيجد شيئًا.. لا شكّ عندى أنه سيبذل جهدًا أكبر بعد أن تعرض هو نفسه لهجوم..

(سليمان شكيب)، الذى يجب أن نتواصل معه بأسرع وقت، كى نعرف العلاقة التى بينه وبين (ياسر)..

والممرض..

الممرض، هو نفس الشخص الذى تكلم معى!

نعم، نعم، الممرض هو أول خيط يجب أن نبدأ به..

قال (ديمترى) وكأنه كان يفكر معى فى نفس الوقت:

- أول ما يجب فعله، أن نبحث بأمر الممرض..

- هذا ما كنت أفكر فيه تمامًا..

نهض واتجه للباب، وفتحه، وقال لرجل الأمن:

- عمموا أوصاف وشكل الممرض فى كل مكان، نريد أن نرى كل تسجيلات الكاميرات كى يرى الجميع صورته و ...

قاطعه رجل الأمن فجأة وبطريقة غير لائقة:

- لحظة يا سيد (ديمترى)، كنت على وشك أن أدخل الغرفة عندكم كى أخبركم عن شىء وجدناه بالأسفل..

من مكانى فى السرير، رأيت رجل الأمن عندما قال العبارة، ورأيت (ديمترى) الذى تجاهل مقاطعة كلامه وبفضول ممتزج بعصبية وحدّة شديدة سأله: - وما الذى وجدتموه بالأسفل؟!

ناوله شيئًا لم أنتبه له، إلا عندما اقترب (ديمترى) بجانبى ورماه على السرير، أمامى مباشرة..

لن نستفيد من الكاميرات شيئًا، ولا من توزيع صوره وأوصافه فى كل مكان، لأنه يتحرك بذكاء هائل، وخطوات سريعة..

ما ألقى به (ديمترى) عندى على السرير، كان قناعًا..

مطاطيًّا..

يحمل ملامح الممرض الوسيم الذى أعطانى الإبرة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

٥ - بذكاء..

خلال ساعة، تحولت المستشفى إلى خلية نحل، حرفيًّا!

ضباط، ورجال أمن، وخبراء من عدة مستويات، لأنّ ما حدث ويحدث فيه تعدّى كل قوانين الأمن، سواءً باقتحام المبنى وانتحال شخصية ضابط ووضع علبة دخان عندى، أو الانفجار، أو الإبرة والغيبوبة، أو القناع المطاطى..

الخطر يكبر، والغموض يتزايد!

وأنا فى حيرة، و(ديمترى) فـــى حيرة مثلى وأكثر، و(منذر) ســأل نفسه مليون سؤال وهو يحاول أن يفهم ويحلّل.. (كريم) لم يفهم شيئًا مما يجرى ولذا قام بحضنى أكثر من مرة، (ديالا) قدر استطاعتها منعت دموعها، بصعوبة، وأوصت (ديمترى) و(منذر) عدة مرات أن يزيدا عدد رجــال الأمن حتى أكبر قدر ممكن..

كان من اللازم بعد أن تم العثور على القناع المطاطى أن نتأكد إن كان هناك أى شىء قد حصل مع (أكرم) بالغرفة أو لا..

والغريب أنه لم يحدث له شىء!

هذا يعنى أنَّ الممرض الذى كان يرتدى القناع، لم يدخل غرفة (أكرم) مع أنَّ هذا كان بإمكانه، لم يدخل عنده مع أنه المستهدف بالانفجار..

هذا ما نعرفه، وهذا غريب للغاية!

الاتصال الذى جاءنى كان فيه طلب، جعلنى هذا الطلب أشكّ وأذهب كى أحذر (أكرم)، مما جعلنا ندخل المستشفى معًا، لكن إذا حدث هذا وكان عنده فرصة ذهبية كى يقتلنى أو يقتل (أكرم)، لماذا لم يفعل هذا؟! لماذا دخل عندى فقط كى يدخلنى فى غيبوبة؟!

ما الذى يريده بالضبط؟!

ما الهدف من دخول المستشفى من الأساس، إن لم يكن هناك أى نية لقتلى أو قتل (أكرم)؟!

كنت أفكر بكل هذا عندما قال (منذر) فجأة:

- هل أنت متأكد أنه نفس الشخص؟!

- طبعًا، نفس الصوت..

قال (ديمترى) باهتمام:

- كيف سيكون نفس الصوت، بينما هو الذى أخبرك بلسانه فى أول مكالمة بينكما، أنه يستخدم جهازًا لتغيير الصوت؟!

صحيح..

فكرت قليلًا، وقلت:

- هذا يضعنا أمام خيارين لا ثالث لهما..

بتساؤل وفضول قال:

- ماذا؟!

أخذت نفسًا عميقًا وقلت:

- الخيار الأول، أنَّ هذا الشخص الذى كلمنى لم أعرفه فى حياتى ولم أره أصلًا، وعندما قال إن هناك جهازًا لتغيير الصوت، قالها كى يجعلنى أفكر أنّه شخص أعرفه بينما هو شخص مجهول كليًّا بالنسبة لى.. يعنى هى مجرد محاولة للفت الانتباه لأمر آخر وتفاصيل غير حقيقية، فقط كى يبقينى بعيدًا عن هدفه الأساسى..

- والخيار الثانى؟!

- الخيار الثانى أنّه شخص أعرفه، وبهذه الحالة لن يكون إلا (ياسر هنداوى) الميت، والذى من المستحيل أن يكون قد رجع للحياة بأى وسيلة كانت، والذى أثق تمامًا أنه ليس هو، ولكنه شخص أعرفه مسبقًا، ويستخدم تقنيات معينة لا أعرفها بحيث يستطيع تغيير صوته..

قلتها وطلبت من (منذر) أن أشرب بعض الماء، بينما هو و(ديمترى) غارقان فى التفكير..

فجأة دق الباب، دخل ممرض وقال:

- مرحبًا، أعتذر إن سببت أى إزعاج..

- تفضل..

- استيقظ (أكرم) من الغيبوبة..

قالها فتبادلنا كلنا النظرات، حاولت أن أنهض لكن (ديمترى) مد يده ومنعنى بحركة حازمة: - هل جننت؟! أبق مكانك، سأراه أنا و(منذر)..

تجاهلت يده وانتزعت الأنابيب التى فى صدرى وقلت: - لا بدّ أن أراه..

حاول الممرض أن يعترض لكنه رأى نظراتى الجادة الصارمة التى لا تفتح أى باب للجدال، لم أكن أرتدى ملابسى كما يجب، نادى (منذر) على (ديالا) التى بدا على ملامحها الانزعاج الشديد لأننى أريد النهوض، لكنها تفهمت مباشرة بعد أن أخبرتها أن (أكرم) استيقظ ويجب أن أراه، ساعدتنى فى ارتداء ملابسى ثم ساعدتنى فى السير حتى غرفة (أكرم)..

دخلنا كلنا الغرفة وكان مستيقظًا ويبدو بحالة لا بأس بها، كان معه شقيقه (غالب) الذى لم أره منذ وقت العزاء قبل ثمانى سنوات، صافحنى بحرارة عندما رآنى، أحضر لى (منذر) مقعدًا، وجلست بجانب سرير (أكرم) وقلت له:
- الحمد لله على سلامتك..

بامتنان قال:

- وسلامتك أنت أيضًا يا (سامر)، شكرًا لإنقاذك حياتى..

قمت بهزّ رأسى وقلت بلهجة اعتذار:

- بالعكس، أعتذر منك لأننى كنت سببًا بحصول هذا الأمر السيئ معك، ولأننى كنت سببًا فى دخولك المستشفى.. ربما لم يكن يجب أن أتواصل معك منذ البداية، للأسف، لم أكن أعرف أننا سنصل حتى هذا الحد..

بفضول وحذر سأل:

- هل حدثت أى أمور سيئة أخرى أثناء فقدانى الوعى؟!

تنهدت وأطلقت زفرة حارة وأخبرته بكل ما حدث..

كان مصدومًا، وكان متفقًا مع نظريتى بشأن الشخص الغامض، وبأنه لا يستهدفنى، ولا يستهدفه!

قال (منذر):

- إذن لماذا فعل ما فعله؟! ومن الذى يستهدفه؟!

- أظن أن (سليمان شكيب) قد يفيدنا بهذا الشأن!

قلتها، فقال (ديمترى) وهو يلوّح بيديه:

- أمر (سليمان شكيب) غامض وغريب.. لماذا قال لك اسمه بينما هو ليس له أى علاقة؟! هل تعرف (سليمان شكيب) يا (أكرم)؟! هل سمعت بهذا الاسم قبل هذه المرة؟!

عقد (أكرم) حاجبيه، فكر قليلًا قبل أن يقول بعد أن تبادل نظرة مع شقيقه (غالب): - أظنّ أننى سمعت هذا الاسم مرة أو مرتين من (ياسر)..

بدهشة ممتزجة ببعض الارتياح قلت:

- حقًّا؟!

قال (غالب) بتوتر بعد أن سعل قليلًا:

- نعم كما قال (أكرم)، ربما سمعت الاسم مرة أو مرتين، لكننى لا أملك أدنى فكرة عن العلاقة بينه وبين (ياسر) وبين ما حدث معكم، انفجار وقناع واتصالات غريبة..

قال (أكرم):

- وهناك دخان أيضًا إن لم تكن تعرف..

قال (غالب) بحيرة:

- دخان؟!

قلت وأنا أوجه الكلام له مباشرة، بينما اللهفة تملأ حروفى ترقبًا لأى جواب قد يكون مفيدًا: - الشخص الذى اتصل بى، أخبرنى أنه يريد أن ينتقم منى بسبب موت شقيقك وزميلى وشريكى منذ سنوات، هو نفسه الذى أدخلنى المستشفى مع (أكرم)، وهو نفسه الذى جاء هنا قبل ساعات وقد وضع قناعًا مطاطيًّا على وجهه، فقط كى يثبت نقطة معينة عنده، هذه النقطة التى ما تزال مجهولة بالنسبة لنا.. وقبل هذا كله، قال إن هناك علاقة بين (ياسر) وبين الدخان..

كرر (غالب) السؤال بنفس الحيرة:

- أى دخان بالضبط؟!

- لا نعلم! المهم أنه دخان، وأن هناك علاقة بين (ياسر) وبين الدخان، وهذه العلاقة ستكشف شيئًا عن الانتقام!

- أى شىء؟!

- لا نعلم أيضًا! لكنها على الأقل قد تكشف شيئًا عنه، ولماذا فعلًا يفعل هذا، بما أننى الآن شبه مقتنع تمامًا أنَّ الانفجار لم يكن هدفه قتلى أو قتل شقيقك.. هناك هدف آخر..

- وهو؟!

أشرت بسبابتى وقلت للمرة الثالثة، وأنا أشعر ببعض الحرج: - لا نعلم أيضًا!

وضع (غالب) ساقه اليمنى فوق اليسرى، ثم لوح بيده وقال بنبرة صوت مستفزة: - معنى هذا أنكم لا تعرفون شيئًا!

قال (منذر) بحدة:

- هل يعنى هذا أنك تعرف شيئًا؟!

- لا طبعًا، لأننى لست من رجال الأمن أو المخابرات.. أنتم من يجب أن تكون كل الإجابات عندكم..

قال (ديمترى):

- لا نملك إجابات كافية عن أى شىء حتى الآن للأسف، ولكننا نحاول، وقريبًا سنعرف كل شىء، بأسرع وقت..

- ما يجب فعله الآن، هو الاتصال بـ (سليمان شكيب) وأن تقولوا له ما حدث، وبالذات عندما ورد اسمه وسط كل هذه الاتصالات والأحداث..

فعلًا..

هذا ما يجب فعله!

أول ما يجب أن نفعله، أن نتصل بـ (سليمان) ونخبره بكل التفاصيل، لأنّ حل اللغز عنده حتمًا، وبما أن الحل والإجابات عنده، وقتها سنفهم ما العلاقة، وسنفهم لماذا استقال من عمله فى نفس الشهر الذى مات فيه (ياسر)، ونفهم ما الدخان!

قال (منذر) وهو يخرج هاتفه من جيبه:

- سأقوم بإجراء بعض الاتصالات الآن لأرى كيف نصل إليه، لا بدّ أن يكون رقم هاتفه مع أحدهم..

قال (ديمترى) منبهًا:

- أنا أريد أن أتكلم معه أيضًا، لعله يأتى إلينا..

- من (قبرص)؟!

- نعم من (قبرص)، أعتقد أنّه من المهم وجوده هنا، فى حال حدثت أمور أخرى، لا نعلم ما ستؤول إليه الأمور مع منظمة بهذا الذكاء..

ابتسمت وقلت:

- هل أصبحت تتكلم عن هذا الشخص الآن وكأنه منظمة؟!

قال بتوتر:

- هذا ليس عملًا فرديًّا يا (سامر)، لن يفعل شخص واحد كلّ هذا.. فكر معى، هذا ليس عملًا يقوم به أحدهم فى وقت الفراغ!

قال (أكرم) فجأة وهو يمدّ يده:

- (غالب)..

قال (غالب) وهو يقترب من السرير:

- نعم (أكرم)..

- عندما حدث الانفجار، كنت على وشك الذهاب إلى بيت أهلى، وأرغب بالذهاب الآن لكننى لن أستطيع كما ترى، بسبب هذه الإصابة..

- ما الذى تريده من هناك؟!

- أريد أن تفتش بين مستلزمات (ياسر) فى البيت، وأن ترى بين أوراقه أو ملفاته أو حتى ملابسه أى شىء أو معلومة عن الدخان..

قلت بسرعة قبل أن يقول (غالب) أىّ شىء:

- وأيضًا انظر إن كان هناك أى شىء عن (سليمان شكيب)، حتى لو ورقة صغيرة فيها اسمه..

هز رأسه وتبادل معى ومع (أكرم) نظرة ثم قال: - حسنًا، سأخبركم..

بجانبى كانت هناك بعض الأوراق البيضاء، وقلم، كتبت رقم هاتفى على ورقة وأعطيته إياها: - اتصل على هذا الرقم..

أمسك الورقة وغادر الغرفة مباشرة، بنفس الوقت الذى دخل فيه رجل الأمن وقال وهو يمسك كيسًا فى يده: - أعتذر مجددًا، لكن شخصًا أحضر هذا الكيس يا سيد (سامر)، وطلب منا أن يصلك مباشرة..

ناولنى الكيس، ففتحته وصدمت..

قلت لرجل الأمن بعصبية:

- من الذى أحضره؟!

بسرعة قال:

- قبل دقيقتين، أحد رجال الأمن العام برتبة ملازم، أعطانى إياه وقال إننى يجب أن أوصله لك مباشرة، كنت أتكلم فى الهاتف، وأحضرته لكم سريعًا..

نهضت بسرعة ونهض معى (منذر) و(ديمترى) بتحفز وأنا أقول: - أين هو؟! كيف كان شكله؟!

اتسعت عيناه وقال:

- لا تقولها! بالتأكيد هو ليس نفس الشخص الذى أعطاك الإبرة، مستحيل! هذا ضخم، لحيته بنية وعيناه ملونتان، وسمين جدًّا.. من المستحيل أن يكون هو نفسه!

خطف (ديمترى) الكيس من يدى، وقال بصوت مختنق وهو يخرج علبة دخان منه: - علبة دخان!

أمسكها (منذر) وقلبها بين يديه وقال:

- الوغد!

قال (ديمترى) وهو يندفع خارج الغرفة مع رجل الأمن: - ما يزال فى المستشفى حتمًا، أغلقوا كل الأبواب، نريد أن نفتش الجميع بدون استثناء، يجب أن نلقى القبض عليه ونعرف من هو بالضبط ولماذا يفعل هذا كله؟!

غادروا للخارج بينما اقترب منى (منذر) وقال: - هل تريد أن تفتحها؟!

أمسكتها وفتحتها دون أن أجيبه.. كانت مثل العلبة التى جاءتنى تمامًا، وكان فيها ١٢ علبة دخان، وبينهم مغلف صغير..

مغلف أبيض، هنا؟!

لماذا؟!

ما الرسالة التى فيه مثلًا؟!

فتحته بسرعة وأنا أحاول السيطرة على نفسى كى لا أمزق الكيس من فرط الحماس، كى أتفاجأ بوجود صورة شخص..

ماذا؟!

صورة شخص، أشيب الشعر واللحية، ملامحه ناعمة ويرتدى نظارات طبية، وهناك بريق ذكاء واضح فى عينيه..

من هذا الشخص؟!

لم يكـن مع الصــورة أى دليل على الاسـم، لا إشارة ولا كلمات، فى العلبة كاملة..

اتصل (منذر) بـ (ديمترى) وفتح مكبر الصوت:

- (ديمترى)، هل وجدتموه؟!

كان صوته ممتلئًا بالغضِب والضيق وهو يقول:

- لا، لم نجده، كان أسرع منا واستطاع الهرب، ترك لنا كيسًا عند باب المستشفى من الخارج، بإشارة واضحة تؤكد أنه استطاع خداعنا جميعًا..

- كيس جديد؟! ما به؟!

كان من المفترض أن لا يفاجئنا جوابه لكنه فاجأنا: - كيس فيه قناع آخر! قناع اللحية البنية والعيون الملونة! قناع الشخص الذى أعطى رجل الأمن العلبة الجديدة..

تنحنح (منذر) وقال:

- (ديمترى)، اتصلت بك من أجل العلبة الجديدة..

- ما بها؟!

- معها صورة شخص..

- من هو؟!

- يجب أن ترى بنفسك!

قالها وأغلق الخط، وخلال دقائق كان عندنا بالغرفة، ليمسك الصورة بيده وهو يلهث..

ألقى بنفسه على المقعد:

- هذا هو..

- من؟!

- هذا هو.. (سليمان شكيب)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حدقت بالصورة..

يا إلهى!

لماذا يخاطر ويرسل لى صورة (سليمان شكيب)؟! لماذا يغامر للمرة الثانية خلال أقل من ثلاث ساعات؟!

ما هذه الجرأة المذهلة غير العادية؟!

ولماذا؟!

ما الذى يهمنى بصورة (سليمان شكيب)؟!

سنتكلم معه بالهاتف ونحاول معرفة أى تفاصيل عن الدخان أو عن (ياسر)، أو سنطلب منه أن يحضر كى نفهم منه مباشرة، ونرى ما الذى يجب أن نفعله..

لكن؛ لماذا يرسل صورته؟!

ما الفكرة والهدف؟! ما هو المقصود؟!

رن هاتف (ديمترى) فجأة فردّ عليه، يبدو أنه يتكلم مع مسئول كبير فى المخابرات العلمية أو الأمن العام..

أنهى المكالمة ونهض وقال:

- مدير المخابرات العلمية يريدنى فى مكتبه الآن، من الواضح أنَّ الصحافة والإعلام قد أثاروا جنونه بمئات الأسئلة!

قالها فأومأنا برءوسنا أما (منذر)، فأكمل قبل أن يخرج: ـ.. سأذهب إليه على الفور، علينا أن نعرف ما يجب قوله للإعلام سريعًا، قال الكثير من الناس إنه هذا عمل إرهابى، ولا نريد أىّ كلام ليس له معنى من النوع الذى يخيف الناس، أريد أن تبقونى على اطلاع، أخبرونى إن جدّ أى جديد عن (سليمان شكيب)، أو (غالب) إن وجد شيئًا فى أوراق (ياسر)..

بعد أن خرج تساءل (أكرم) بقلق:

- هل من المعقول ألا نجد أى زاوية يظهر فيها وجهه بعد أن تخلص من القناع؟! هل هو محترف حتى هذا الحد؟!

قال (منذر) بحزم:

- طبعًا، وحتى هذه اللحظة لسنا مضطرين لأن نرى أى كاميرا، حتمًا سيكون قد أخذ حذره بشكل كافٍ، الرجل الذى يأتى مرتين إلى مستشفى ممتلئ برجال الأمن، ما الذى تتوقعه منه؟! هذا شخص مدرب جيدًا، ومحترف للغاية، وعلى قدر عالٍ من الخبرة، وعلى الأغلب يفعل هذا ليثبت أنه محترف، أو من باب الغرور والثقة غير العادية، أو هو شخص يتبع منظمة، أو عصابة..

قلت بتوتر:

- المشكلة الأكبر وسط كل هذا أنَّ الأسئلة أصبحت كثيرة! هل من الممكن أن يحلّ (سليمان شكيب) كل هذا الغموض؟!

قال بدهشة:

- أسئلة؟!

أخذت نفسًا عميقًا:

- طبعًا، أسئلة وليس سؤالًا واحدًا.. أسئلة.. من هو؟! لماذا يريد أن ينتقم منى؟! لماذا أتيحت له فرصة الانتقام دون أن يفعلها؟! لماذا كان يستطيع أن يقتلنى ولم يقتلنى؟! ما علاقة (أكرم)؟! لماذا فجر سيارته؟! ما علاقة (ياسر)؟! لماذا يدّعى أنه (ياسر) بينما هو ليس (ياسر)؟! لماذا نبش قبر (ياسر) وخطف بقايا جثته كى يوهمنا أنه هو؟! ما هو الدخان الذى تكلم عنه وعلاقته بـ (ياسر)؟! ما علاقة (ياسر) بـ (سليمان شكيب) ولماذا استقال فى نفس الشهر الذى مات فيه (ياسر)؟! ما الرابط المجهول بينهما؟! ولماذا يرسل صورته فى علبة دخان تشبه العلبة التى أرسلها لى أول مرة، عندما انتحل شخصية الضابط بكل جرأة كى يعطينى إياها؟!

وسكت قليلًا قبل أن أتمتم بصوت منخفض:

- ما الذى يريد أن يقوله بالضبط؟!

قلتها، ومرت بعد سؤالى لحظة صمت طويلة، لم يقطعها إلا صوت رنة هاتف (منذر): - آلو.. (منذر) معك..

لم أسمع ما قاله المتصل بالضبط، لكن عينيه اتسعتا فجأة، وسقط فكه من مكانه، وخرج من فمه صوت مبحوح ممتلئ بالذهول وهو يقول: - ماذا؟! هل أنت متأكد؟!

انتبهت كل حواسى أنا و(أكرم)..

أغلق الخط وقال العبارة التى لم أكن مستعدًا بأى شكل من الأشكال لسماعها: - (سليمان شكيب)..

- لا تقولها..

أكمل وكأنه لم يسمعنى:

ــ.. مات منذ شهرين فى (قبرص)!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٦ - ميّت آخر!

ماذا؟!

كيف يمكن للغز أن يزيد تعقيدًا وغموضًا أكثر مما هو عليه؟!

كأنّ هذا ما كان ينقصنا!

الشخص الذى توقعنا أن نجد الحل عنده؛ ميت؟!

لا..

أرجوكم؛ لا!

هناك شىء خطأ، حتمًا..

قلت مخاطبًا (منذر):

- أرجو أن تتصل بالسفارة الأردنية فى (قبرص)..

- الآن؟! لماذا؟! هم من أخبرونى بهذا الخبر..

- اتصل بهم لو سمحت..

ازدردت لعابى وانتظرت قليلًا، أعطانى الهاتف، ثمة صـوت يوحى بأن صاحبه قـوى وصارم، عرفنى على نفسه أنـه أحد رجال الأمن فى السفارة، واسمه (جلال): - من أين عرفتم خبر موته يا (جلال)؟!

- تواصلنا مع الجهات الحكومية، المدعو (سليمان شكيب) مات قبل شهرين، هكذا تقول كل الأوراق الرسمية..

- وما سبب الوفاة؟!

- لم أسأل، هل تريد أن أسأل؟!

- أرجو أن تسأل وتخبرنا بأسرع وقت، نحن بانتظار اتصالك يا (جلال) لأنّ هناك بعض الأمور الكارثية العالقة هنا..

وأنهيت الاتصال، بينما (منذر) يسألنى:

- ما يدور فى رأسك؟!

شربت بعض الماء وقلت:

- يراودنى شعور ما، أنه إن كان ميتًا حقًّا، فلن تكون ميتته عادية أو طبيعية.. أعتقد أنه سيكون مات مقتولًا!

شهق وقال:

- مقتولًا؟!

هززت رأسى:

- نعم، ولم لا؟! انظر غموض الأحداث وكثافتها مع أننى أشك بكونى أفهم شيئًا مما يجرى.. أشك أنه مات مقتولًا لأى سبب يربطه بالقصة، مع (ياسر)، أو الدخان، أو أى سبب آخر نجهله..

- ممكن..

صمتنا قليلًا، قبل أن يقول (أكرم):

- اسمحوا لى أن أقاطعكم، ألم تشعروا بالجوع؟!

قالها فشعرت بالجوع مباشرة، ورغم أنفى ابتسمت: - هل أنت جائع؟!

- جدًّا، أرجو أن تطلبوا لنا بعض الطعام، وجبات سريعة، لأننى على وشك أن ألتهم إحدى يدىّ.. كما أنّه ليس بأيدينا شىء نفعله الآن، فنحن ننتظر أن يرد لنا (جلال) خبرًا من السفارة، أو (غالب) بعد أن يفتش بين أوراق وملفات (ياسر) رحمه الله، بالبيت..

اندفع (منذر) للخارج وأوصى رجل الأمن أن يحضر لنا دجاجًا مشويًّا، لنا جميعًا، وخلال أقل من ربع ساعة كان الطعام قد وصلنا.. بدأنا نأكل قبل أن يقول (أكرم) بعد أن رن هاتفه: - لحظة، (غالب) يتصل..

وأجاب الاتصال وفتح مكبر الصوت:

ـ.. نعم يا (غالب)، هل أنت بالبيت؟!

سمعنا صوت (غالب) من الهاتف وكأنّ هناك ضجة من حوله، أوراق وملفات وصناديق يعبث بها، وهو يقول: - نعم بالبيت، و.. يا (أكرم)، هل كنت تعرف أنَّ لدى (ياسر) الكثير من مخططات لأجهزة أو أسلحة؟!

رفع (أكرم) حاجبيه بحركة تدل على الدهشة، لكن من نال نصيب الأسد من الدهشة كان أنا..

معقول؟! (ياسر)؟!

قال (أكرم):

- لا.. كنت أشعر أنه يكره التكنولوجيا!

هذا ما كنت أعتقده أيضًا..

منذ كان شريكًا لى فى مهمات، لم نكن نتكلم بهذه الأمور.. كانت مهمات أمنية تقليدية، نعم خطيرة وصاخبة ولكنها تقليدية، مطاردات ورصاص وقناصين ومتفجرات وقتلى وهكذا، لكن لم يكن هناك الكثير من الأمور التقنية والتكنولوجية كما أفعل الآن بعملى، هذا تخصصى الآن.. وقتها كان عندى هوس بدائى بهذه العوالم، وكنت أبقى هوسى داخلى..

لكن (ياسر)؟! لم يكن (ياسر) هكذا! فما الذى تقوله بالضبط يا (غالب)؟!

قال (غالب) وصوته يؤكد تعجبه:

- مثلك أيضًا، كنت أعتقد هذا، لكن ما أراه بالأوراق أمامى يقول بوضوح إننا مخطئون.. هناك أوراق كثيرة، ومصطلحات إنجليزية معقدة، وهناك صور لأسلحة ممتلئة بالأسلاك وقطع غريبة لا أستطيع تمييزها.. لحظة! هناك ملف غريب لونه أحمر، كان مدفونًا تحت كل الملفات.. أريد أن أفتحه..

مرت لحظة، ثم سمعنا صوت تقليب الصفحات، وقال: ـ.. أوف! الملف فارغ! لا يوجد فيه إلا أوراق خالية من أى كتابة أو رسومات! إلا بعض الأوراق، فيها رسومات غير متقنة..

قال (أكرم) بفضول، نفس الفضول الذى تفجر داخلى: - رسمة لأى شىء؟!

- رسمة لحقيبة، مثل الحقيبة الدبلوماسية التى تكون مع المسئولين أو المحامين.. الحقيبة يخرج منها بعض الدخان!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شعرت بالصدمة..

تحفزت، وانشدت أعصابى كلها وأنا أقول بصوت عالٍ: - دخان؟!

سمع (غالب) صوتى فوجه الكلام لى:

- نعم، حقيبة يخرج منها بعض الدخان يا (سامر).. و.. لحظة، هناك ورقة سقطت من الملف.. انتظرونى بضع ثوانٍ..

فجأة شهق، فقال (أكرم) بسرعة:

- ماذا هناك يا (غالب)؟! ما بك؟!

- الورقــة التــى سقطت من الملف، لن تصدقــوا هذا؛ مكتوب فيهــا (سليمان شكيب)!

رمقنى (منذر) بنظرة جانبية سريعة..

ورقــة بملف غريب فــى بقايــا أوراق وملفات (ياســر)، وفيهــا اســم (سليمان شكيب)، بجانب ورقــة أخرى بنفس الملف، مرســوم فيهــا حقيبة دبلوماسية يخرج منها بعض الدخان؟!

أعتقد أننا الآن وصلنا للعلاقة كاملة، العلاقة الواضحة تمامًا، بين الثلاثة، (ياسر) و (سليمان) والدخان..

لكن ما نوع هذه العلاقة؟!

وما هذا الدخان بالضبط؟!

وما الذى يجمع بين (ياسر) و(سليمان) والدخان؟!

قبل أن أقول أى شىء أردف (غالب):

- اسم (سليمان) تم شطبه باللون الأزرق!

بدهشة شديدة قلت:

- تم شطبه؟! كيف؟!

- نعم، (ياسر) شطب على الاسم باللون الأزرق، وبلون أحمر كتب اسمًا آخر، بجانب الاسم..

- ما هو؟!

- (جيكوب)!

نعم؟!

من (جيكوب) هذا أيضًا؟!

كأنّما ينقصنا اسم جديد نضيع فيه ومعه!

من هذا؟!

شخص سيقتل (سليمان)؟!

هل من المعقول أن (ياسر) مثلًا قــام بشطب اسم (سليمان) من باب أنه إن كان سيموت فى يــوم ما فهذا بسبب أن شخصًا اسمــه (جيكوب) سيقــوم بقتله؟!

من (جيكوب)؟!

لماذا (ياسر) شطب على اسم (سليمان) وكتب (جيكوب)؟!

سألت (أكرم):

- هل سمعت بهذا الاسم من قبل؟!

هز رأسه يمينًا ويسارًا:

- لا، هذه أول مرة..

قال (غالب):

- وأنا أيضًا، هذا غريب جدًّا! ما هذا يا (ياسر)؟! ما الشىء الذى دخلت فيه مع (سليمان) بالضبط؟! أشعر أننى لم أكن أعرف شقيقى كما يجب..

وجه (أكرم) كان يقول نفس الكلام، كان مستغربًا بشدة..

لكن، هذه حياة رجال الأمن، ورجال المخابرات بالذات.. هناك تفاصيل لا يعلمها أحد، لكننى كنت مندهشًا أكثر منهما.. ما يقولونه غير متوقع بالنسبة لى، أنا و(ياسر) كنا شركاء، وقمنا بالكثير من المهام معًا، ولم أسمع أبدًا باسم (جيكوب)، أو (سليمان شكيب)، أو الدخان، أو الحقيبة المرسومة، أو حتى أنه يعرف بالتكنولوجيا وعنده خبرات ومهارات..

رن هاتف (منذر)، فقال:

- هذا رقم السفارة فى (قبرص)، هذا (جلال) بالتأكيد، أرجو أن نسمع منه أخبارًا تسرنا عن (سليمان شكيب)..

قلت بعد أن سعلت:

- نعم، أرجو هذا، و.. يا (غالب)..

- نعم يا (سامر)..

- أحضر الملف الأحمر معك، مع أى أوراق أخرى تجد أنها مهمة، نريد أن نرى كل شىء..

صوته كان فيه حيرة:

- لكن هناك أوراق بيضاء فارغة! هل أحضرهم أيضًا؟!

بحزم قلت:

- قم بإحضارهم وتعال بأسرع وقت..

وأغلق (أكرم) الخط معه بينما أعطانى (منذر) هاتفه كى أقول وأنا أعدل جلستى وأفتح مكبر الصوت: - نعم يا (جلال)..

- معك يا (سامر) باشا.. يبدو أنها ميتة طبيعية جدًّا، ولم يأت أحد للسؤال عنه، مات وتم دفنه خلال يوم..

حقًّا؟!

كيف حدث هذا؟!

- ولم يبلغ أحد السفارة؟!

قال (جلال):

- لا، لم يبلغ أحد السفارة.. مممم! هذا غير منطقى..

- هل معه أحد من عائلته فى (قبرص)؟!

- أظن أن زوجته كانت معه.. لحظة..

وسمعت صوته وهو يضغط على أزرار لوحة مفاتيح أمامه، قبل أن يقول بظفر: ـــ.. نعم، زوجته (صابرين مصطفى) موجودة فى البيت ولم تغادر البلاد، فى مدينة (ليماسول)..

- هل (ليماسول) فى (قبرص) اليونانية، أم التركية؟!

- (قبرص) اليونانية..

التزمت الصمت قليلًا وأنا أتبادل النظرات قبل أن أقول: - أين قبر (سليمان)؟!

صمت قليلًا هو أيضًا، قبل أن يقول:

- فى (نيقوسيا)..

أخذت نفسًا عميقًا وقلت:

- انظر ما الذى أريده منك يا (جلال).. أريد أن ترسل أحدًا من عندك للمقبرة التى مكتوب أمامك أنَّ قبر (سليمان شكيب) فيها، وأريد أن ترسل واحدًا آخر لرؤية زوجته، (صابرين)..

قال (جلال):

- أنا سأذهب عند السيدة (صابرين) يا (سامر) باشا، وسأرسل الآن أحد زملائى للمقبرة.. لكن ما الذى تريد منى أن أفعله عندما أصبح عندها؟!

- عندما تصلها اتصل بنا، كم تريد من الوقت؟!

- ربع ساعة..

- عظيم، وأرجو منك أيضًا أن تقوم بإبلاغ السفير بما حدث وما سيحدث، كى تكون الأمور واضحة عنده بشكل كامل، وكى لا يكون هناك أى تعدّ على خصوصيات عمله ومنطقته دون علمه، وبالطبع نحن على أتم الاستعداد لمعاونتك بأى أعمال ورقية تريد مساعدتنا فيها لتسهيل أى مهمة، الرائد (منذر) سيرسل لك بالفاكس أو عبر البريد الإلكترونى أى أوراق أو موافقات رسمية أنت بحاجتها، يهمنا أن ننجز بسرعة..

- هل من الممكن أن نتكلم أنا والرائد (منذر) قليلًا، كى ننهى الإجراءات سريعًا، ونخرج أنا وزميلى مباشرة؟!

أخذ (منذر) الهاتف منى وبدأ يتكلم مع (جلال)، بينما ضيق (أكرم) عينيه وهو يسألنى: - بماذا تفكر؟!

- لا أدرى ما أقول لك.. هناك مليون فكرة وسؤال فى رأسى! أولها؛ لماذا لم يتم تبليغ السفارة أنه مات؟!

- ربما لأن زوجته قد تم إبلاغها، ولم يرد أحد أن يكبر الموضوع، أو أن حزنها كان شديدًا مما جعلها تنسى أى إجراءات رسمية..

ضغطت على شفتىّ بأسنانى، وقلت وأنا أنظر إلى (منذر) الذى أنهى الاتصال:
- هل من المعقول أن يكون حيًّا يا (أكرم)؟! أم أنَّ هذه خدعة جديدة لن نعرف نهايتها؟!

- إن كانت زوجته تعيش وحدها فهو ميت حتمًا يا (ســامر)، ألم يقل لك (جلال) إن قبر (سليمان) فى (نيقوسيــا)؟! ما الذى تتوقعه؟! كيف سيكــون خدعة؟! من يخدع من؟!

ابتسمت بغموض، هناك أفكار شيطانية كثيرة تلعب فى رأسى الآن لدرجة أننى لا أعرف ما يجب أن أقوله، وبماذا أفكر!

الأفكار كثيرة لدرجة أنَّ كل فكرة تعتبر أولوية أولى!

شعرت برأسى على وشك أن ينفجر..

قال (منذر):

- (جلال) خرج من السفارة هو وزميل له، سيذهب عند السيدة (صابرين) كما أخبرنا وسيتصل حين يصلها، وسيذهب زميله إلى المقبرة..

كنت أودّ أن أعلق، قبل أن ينفتح الباب ويدخل منه (ديمترى)، حيانا وجلس، وسألنا عن آخر التطورات..

أخبرناه فصعق!

ملف أحمر وأوراق فارغــة واهتمامــات غير مألوفــة من (ياسر)، واســم (جيكوب) الغامض، وخبر وفــاة (سليمان شكيب) الذى كان أكــثر خبر غير متوقع بالنسبة له..

أمسك رأسه من الجانبين وقال ببطء:

- يا إلهى!

أخبرته عن (جلال) وزميله، بنفس الوقت الذى رن هاتف (منذر)، والذى بدون تردد ناولنى إياه وهو يضغط مكبر الصوت، الصوت كان جديدًا بالنسبة لى: - سيد (سامر)؟! معك (إسحاق) من السفارة..

- نعم يا (إسحاق)، أنا (سامر)..

- أعطانى (جلال) هذا الرقم وأخبرنى أن أتصل بك، أنا الذى ذهبت للمقبرة التى فيها قبر (سليمان شكيب)..

تبادلت نظرة سريعة مع (أكرم) و(منذر) و(ديمترى)، وبلهفة كبيرة قلت وعيناى تبرقان: - هل كان القبر منبوشًا يا (إسحاق)؟!

ضحك وقال:

- لا، لأنه لا يوجد قبر أصلًا يا (سامر) باشا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لا يوجد قبر أصلًا؟!

ما الذى يعنيه هذا؟!

القبر ليس موجودًا؟!

هل هناك سوء تفاهم متعلق باسم المقبرة مثلًا؟!

الدهشة كانت مرتسمة على وجوهنا جميعًا، بينما سألته: - كيف؟! أين القبر؟!

- لا يوجد أحد مدفون بهذا الاسم فى المقبرة كلها، بعيدًا عن أن المقبرة مغلقة منذ سنة تقريبًا!

كيف؟!

هل ما أفكر فيه صِحيح؟!

كنت مستغربًا جدًّا، وقال (ديمترى):

- ربما كل هذا الأمر خدعة، و(سليمان) ليس ميتًا..

قال (منذر) بحماس:

- ومن المحتمل أن يكون هو قد اخترق قاعدة البيانات فى (قبرص) وأضاف هذه المعلومة، ليجدها أى شخص يبحث عنه بينما هو فى مكان آخر..

قال (أكرم) متسائلًا:

- لماذا؟! لماذا يدعى أنه ميت؟! ولماذا يخترق قاعدة البيانات كى يضيف هذه المعلومة؟! ما الذى يريده؟!

قلت وأنا أتنهد:

- أسئلة وأسئلة، والأجوبة كلها عند (ياسر) رحمه الله، أو عند (سليمان) الذى أرجو أن يكون حيًا..

- أتوقع أن يكون حيًّا، لن أتحمل أن يكون ميتًا بعد كل هذا الغموض اللعين! سنضيع، ولن نعرف ما سيحدث لاحقًا..

قالها (منذر)، بنفس الوقت الذى سمعنا دقات على باب الغرفة، انفتح الباب ودخل منه (غالب) ومعه الملف الأحمر ومجموعة أوراق وملفات أخرى..

نهضت بسرعة وأنا أحاول أن أتحمل الألم قدر استطاعتى، وخطفت الملف من يده قبل أى أحد آخر، حدقت بالأوراق الفارغة، وبالرسمة غير المتقنة للحقيبة التى يخرج منها بعض الدخان، وبالورقة المكتوب عليها اسم (سليمان شكيب) حيث تم شطب الاسم، وكتابة كلمة (جيكوب) بجانبها بلون أحمر!

ما هذا يا (ياسر)؟!

ما الذى كنت تعمل عليه، وتفكر فيه، وتنجزه دون أن يعلم أحد، مع (سليمان)؟!

مد (ديمترى) يده كى يرى بعض الأوراق فى الملف لكن وقتها رن رقم هاتفه، توقعت أن يكون مدير المخابرات العلمية الذى كان عنده، لكن الغريب أنه كان رقمًا خاصًا!

أجاب الاتصال، واختلفت ملامح وجهه، ناولنى الهاتف بغضب شديد وهو يقول:
- لك هذا الاتصال يا (سامر)..

حدقت بوجهه، وأعطيته الملف الأحمر ثم أخذت الهاتف من يده بسرعة هاتفًا بحنق: - أنت؟!

جاءنى نفس الصوت اللعين:

- هل عرفت ما هو الدخان يا (سامر) أم ليس بعد؟!

- عرفت أننا سنلقى القبض عليك، عاجلًا أم آجلًا، ووقتها سنعرف من أنت، ولماذا تفعل ما تفعله!

- أنت تعرف لماذا..

- لماذا؟!

- بسبب الدخان..

- أى دخان؟! نحن لا نعرف شيئًا!

- لا شكّ عندى أنكم ستكتشفون كل الحلول قريبًا!

وأنهى الاتصال..

كأنّ ما ينقصنى الآن هو اتصالك عديم الجدوى، والذى سيزيد الأمور غموضًا فوق الغموض الحالى، والذى يكفى مدنًا بأكملها!

كنت أريد أن أقول شيئًا، لولا أن (منذر) قال: - (سامر)، (جلال) على الخط..

قلت بلهفة وأنا أوجه كلامى للجميع:

- لا شكّ أن وصل عند بيت (صابرين)، زوجة (سليمان)..

وأمسكت الهاتف بحماس:

- نعم يا (جلال)، أين أنت؟!

جاءنى صوته، ومن حوله صوت هواء قوى:

- أهلًا (سامر) باشا، أنا عند البيت منذ دقائق، لكن هناك شيئًا مزعجًا جدًّا..

توترت وأنا أسأل:

- ما هو؟!

وتوترت أكثر عندما أجاب:

ـــ.. لا يوجد أحد.. البيت مهجور!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

٧ - بيت مهجور؟!!

البيت مهجور؟!

البيت المسجل فى الأوراق الرسمية؛ مهجور؟!

أين ستكون (صابرين) إذن؟! فى بيت آخر؟!

بالتأكيد فى بيت آخر..

هذه المعلومة ليست صحيحة، أو ليست محدّثة، تمامًا مثل معلومة قبر (سليمان شكيب) والذى لا يوجد قبر باسمه!

معلومة مدسوسة..

من دسّها ولماذا؟! هل هو (سليمان)؟!

لحظة، ربما لا يكون (سليمان) السبب وراء كل هذا!

قلت مباشرة ما أفكر فيه بصوت مرتفع:

- هل ربما يكون السبب وراء هذا، شخص آخر؟!

قال (ديمترى) وما زالت آثار المفاجأة واضحة عليه:

- كيف؟! من مثلًا؟!

- ربما قتله شخص، أو منظمة ما، وتخلصوا من جثته بأى طريقة كانت، وربما قتلوا زوجته (صابرين) أيضًا كى تضيع كل آثارهم، بالذات أنهما فى بلد بعيد ولن يهتم أحد لهما، هما هناك، معزولان تمامًا، أى الآن الأمور جاهزة للتخلص منهما وإخفاء أى معلومة عنهما بشكل نهائى..

نهض بحركة عصبية سريعة، تثاءب بقوة، رمشت عيناه قليلًا وكــان من الواضح أنــه يتحاور مع الجثة المتحركة (فابيو) عن طريق الشريحة التى فى رأسه، ثم قال: - يعتقد (فابيو) أن (سليمان) قد لجأ لكل هذه الحيل كى يخفى نفسه وزوجته عن هذه المنظمة المزعومة، والذين هم أنفسهم الذين أخبروك عن (ياسر) والدخان، وكانوا سببًا بإدخالك المستشفى أنت و(أكرم)..

قال (منذر):

- ما يزال (جلال) عبر الهاتف يا (ديمترى)، هل تريدون أن تطلبوا منه شيئًا أم يرجع للسفارة؟!

قمت بالشدّ على الهاتف الذى بين أصابعى وقلت بسرعة:

- مبدئيًّا عد للسفارة يا (جلال)، وسأخبرك ما الذى يجب عمله لاحقًا، هناك عدة أمور يجب أن أتأكد منها..

وأنهيت الاتصال بينما كلهم يرمقوننى بفضول..

أمسكت الملف الأحمر وأخرجت منه الأوراق الفارغة، وقلت بثقة وأنا ألوح بها: - هل تتخيلون وجود ملف، فيه صورة دخان يخرج من حقيبة دبلوماسية، واسم (سليمان شكيب) الذى تم شطبه وكتابة (جيكوب) بدلًا منه، وهذا الملف فيه أوراق فارغة حقًّا؟!

قال (غالب) بحيرة:

- ما الذى قد تحويه الأوراق الفارغة، غير الفراغ؟!

- كلام أو إشارات بالتأكيد!

قلتها وابتسمت، وناديت على (ديالا)، وطلبت منها حاسوبى المحمول الذى بالبيت، يجب أن يكون عندى، مع حقيبتى..

حاسوبى هو صديقى الأقرب لقلبى وعملى فى هذه اللحظات، لأن محتوياته كفيلة بعمل الكثير، كما أن الحقيبة مزودة بتقنيات تكنولوجية، بعضها من تطوير خبراء المخابرات العلمية، أو من تعديلى أنا، مع الكثير من القطع التى قمت بالتوصية عليها..

قال (ديمترى):

- عندى اقتراح يا (سامر)..

- نعم يا (ديمترى)..

- سأطلب الآن إرسال دوريتى شرطة مع زوجتك وابنك، كى يوصلوهما إلى البيت ونطمئن جميعًا أنهما بخير، وبعدها ستقف دورية أمام الباب، والأخرى ستحضر لك ما تريده..

أعجبنى الاقتراح لكنه لم يعجب (ديالا) التى تريد أن تبقى معى هنا، أخبرتها أن الأمور الآن أفضل من قبل، المستشفى ممتلئ برجال الأمن، وعليها ألا تقلق، وسأشعر براحة أكبر بكثير عندما تكون هى و(كريم) بالبيت وبحماية سيارة شرطة مخصصة لهما..

هذا الأمر مريح، أكثر، ومن كل النواحى..

بعدهــا بقليل انطلقت سيارتــا الشرطــة، بينما جلسنـا كلنا ننظر نظرات لا معنى لها، فى وجوه بعضنا بعضًا..

لا ندرى ما الذى يجب قوله، أو فعله!

أنا، و(ديمترى)، و(منذر)، و(أكرم)، و(غالب).. كل واحد منا سافر بخياله إلى كوكب آخر، أو مجرة بعيدة..

فجأة أمسكت الهاتف واتصلت بـ (جلال):

- (جلال)، هل وصلت السفارة؟!

- نعم، وصلت للتو..

- أرجو أن يكون تركيزك عاليًا معى يا (جلال)، لأننى سأطلب منك عدة أمور..

- نعم، معك..

أخذت نفسًا عميقًا وقلت له بينما ينظر لى (ديمترى) بتساؤل: - سأرسل إليك صورة (سليمان شكيب) الآن، ابحث عن هذه الصورة بالتنسيق مع الجهات الأمنية، تابع جيدًا إن كان هناك أى أحد لديه ملامح قريبة من ملامحه، وإن كان هناك أحد يشبهه، أرسل لى البيانات وأنا سأقارنها بالصورة التى عندى.. سأرسلها لك من هاتفى.. حسنًا؟!

اقترب منى (منذر) وقال:

- اسأله إن كان هناك صور لزوجته أيضًا..

- أسأل (جلال)؟!

كان كلام (منذر) فى محله تمامًا:

- نعم، بما أنهــا فى (قبرص) فلا بدّ أن تكــون لهــا صــــور، و(سليمان) أيضًا، سيكون له ولها عدة صور بالتأكيد، دون أن ترسل الصورة التى وصلتك بالمغلف الأبيض.. سيكون هناك صــور حديثة، لأنه هذه الصورة التى معك قديمة..

- ثم؟!

قال موضحًا:

- أخبره أن يبحث عن صورته وصورتها فى كل مكان، سفارات، مستشفيات، طلبات اللجوء، الشرطة، المخابرات، حتى فى دور العجزة وصور الرابحين بالمسابقات فى المولات التجارية..

قال (جلال):

- فكرة ممتازة، سأبدأ بفعل هذا مباشرة، وسأخبركم بأى شىء جديد قد أكتشفه..

أنهيت المكالمة، لنسمع صوت دقات على باب الغرفة، ويدخل ضابط، تأكد (منذر) جيدًا من وجهه ومن هويته قبل أى شىء بينما الرجل لا يفهم شيئًا.. ثم قال: - أحضرت معى ما طلبتم، الحاسوب المحمول، والحقيبة..

أخذتهما منه بكل حماس، قمت بتشغيل الحاســوب مباشــرة، أمسكت الأوراق بين يدىّ وقربتهم من الشاشة.. وأخذت صورة بالكاميرا للأوراق..

- ما هذا؟!

قالها (أكرم) فأجبته وأنا أفتح الحقيبة:

- قمت بتصوير الأوراق كى أرى إن كان أى شىء مخفيًّا فيها، كلام بحبر خاص مثلًا، حبر سرى..

ضحك (منذر) وقال:

- حقًّا؟!

قال (ديمترى) وهو يضع ساقًا على ساق:

- كل شىء متوقع يا (منذر) لأننا لا نعرف شيئًا، لكننى أفكر بنفس منطق (سامر) فى التفكير.. أين المنطق فى وجود أوراق فارغة تمامًا؟! حتمًا هناك أهمية لها، ليست مجرد أوراق خالية!

- هل ستكشف الكاميرا إن كان هناك حبر سرى فى الأوراق؟!

قالها (غالب) فقلت:

- الكاميرا لا تكشف شيئًا، لكن البرامج التى عندى فى هذا الحاسوب تكفى وزيادة، ولهذا طلبت الحاسوب مع الحقيبة..

أخرجت أنبوبًا فضيًّا من الحقيبة، وقرّبته من الأوراق، لا يوجد شىء، لم يعطنى أى إشارة على الشاشة..

أخرجت كاشفًا إشعاعيًّا يشبه شكل بطاقات الذاكرة التى توجد فى كل هاتف محمول، وجعلت أحركه فوق حواف الورق لأرى إن كان الورق من طبقتين مثلًا، وهناك طبقة رقيقة جدًّا بالوسط أم لا، لكن كثافة الورق كانت عادية..

ما سر هذا الورق يا (ياسر)؟!

وضعت الحاسوب على السرير ونهضت، طلبت منهم أن يبتعدوا قليلًا ويتركــوا لى مساحـة كــى أجلــس، جلست وقمت بفرد الورق، كلـــه، على الأرض..

٢٧ ورقة فارغة على الأرض!

قال (ديمترى) بعد دقائق من التأمل فى الأوراق:

- أشعر أننى لاحظت شيئًا فى الورق، لم ينتبه إليه أى منكم..

قلت باهتمام وأنا أحاول أن أرى الورق الموزع على الأرض من عدة اتجاهات وزوايا: - الورق ليس أبيض بالكامل، أشعر أنه درجات، أى أنه يبدأ بالأبيض الناصع، ثــم أخف قليلًا، ثم أخف أكثر، وصولًا لورقة لونها يبدو أقرب للرمادى..

فجأة قال (أكرم) وهو يمسك ذراع (غالب) بلهفة:

- هل تذكر اللعبة التى كان (ياسر) يلعبها معنا أحيانًا؟!

قال (غالب):

- أى لعبة؟!

قال (أكرم) وهو يوجه الكلام لنا جميعًا محاولًا إيصال فكرته: - كان (ياسر) رحمه الله يقص حواف الورق بطريقة معينة، بحيث نعرف نحن ترتيب الورق، بناءً على اتجاهات القصّ والحواف.. شىء يشبه ألعاب التركيب، وكل حافة أو حد من المستحيل أن تضع فوقه أى حد أو حافة، إلا حافة واحدة فقط.. يعنى، هناك قياس واحد لكل حافة، وكل قياس مختلف عن الآخر.. مثل ألعاب الليجو التى يلعب بها الأطفال، لكن تخيلوا معى أن يكون هناك قطعة ليجو واحدة من كل قياس أو حجم، وكل قطعة لا يصلح معها إلا قطعتان، القطعة الرابعة مثلًا لن يصلح أن يكون قبلها إلا القياس الذى يناسبها، والذى حسب الترتيب، ستكون القطعة الثالثة قبلها، بينما القطعة الخامسة بعدها، بمعنى؛ لو وضعت القطعة الثانية أو السادسة أو أى قطع أخرى باستثناء الثالثة والخامسة فلن يتم التركيب كما يجب. هل تفهمنى؟!

قلب (ديمترى) كفيه للأعلى، وقال (منذر):

- لا أفهم شيئًا!

هززت رأسى ببطء وأنا أنظر للورق:

- هل تقصد أنه استعمل نفس الأسلوب هنا؟!

- طبعًا، انظر إلى حواف الورق! هذا لغز من المستحيل عليك أن تقوم بحله مثلى أنا أو (غالب)، أعطنى الأوراق يا شقيقى كى أراها، لأن (ياسر) سهل اللغز أكثر من أى مرة فى هذه المرة، بلعبة الألوان المتدرجة هذه.. سأخبركم بدقائق ما الذى يريد قوله..

قــام (غالب) بجمع الورق وأعطاها لأخيــه (أكرم)، الذى بحماس منقطع النظير بدأ بترتيب الأوراق بناءً على مساحات الحواف والحدود، والألوان التى تتبدل تدريجيًّا، بشكل ملحوظ..

بينما أنا أحدق فى السقف!

أحدق فى السقف، وأفكر بسرعة عجيبة، إننى من المستحيل أن أعرف هذا الشىء وحدى، فلست خبيرًا بالألغاز، وبالذات لغز من هذا الطراز!

أفكر وأكاد أجنّ من فرط التفكير: لو لم يكن (أكرم) و(غالب) هناك، لم نعرف طرف الخيط هذا!

هل لأجل هذا السبب كان يجب أن أدخل المستشفى مع (أكرم)، كى نطلب من (غالب) أن يحضر الأوراق، ونعرف أو نحاول معرفة فك المعنى بهذه الطريقة؟!

هل لأجل هذا السبب لم يقتلنا، لأن هدفه كان أن نكون كلنا هنا لنحل لغز الأوراق؟!

يا إلهى!

- أعتقد أننى أنهيت العمل..

قالهـا (أكرم) وأعطى الأوراق مرة ثانيــة لشقيقه، أمسك (غالب) بالأوراق وقــام بترتيبها علــى الأرض بالطريقــة التــى هــو و(أكرم) و(ياسر) معتادون عليها..

الطريقة التى لن أعرفها وحدى، أبدًا!

ترتبت الأوراق على الأرض، وكوّنت أمامنا على الأرض شيئًا جديدًا، سؤالًا جديــدًا، لغزًا جديــدًا؛ ينضم لقائمــة الأشياء الغامضة التى أصبحت كثيرة، جدًّا..

رقم ٢٣٢٢٢

مصنوع من الورق، الذى تركه (ياسر)، والذى استطاع أخواه فقط أن يرتبوه هكذا، لنعرفه، ونقرأه..

وننصدم مجددًا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخذت نفسًا عميقًا، وقال (ديمترى):

- لم أكن أتوقع إطلاقًا أن يكون ترتيب الأوراق هكذا، وكى نرى فى النهاية رقمًا! ما الذى يعنيه ٢٣٢٢٢؟! هل لدى أى منكما أى فكرة؟!

تبادل (غالب) و(أكرم) نظرة متوترة، قبل أن يقول (أكرم): - نعم..

بلهفة قلت:

- ماذا؟!

- هذه كلمة السر الخاصة بحاسوبه المحمول!

بالنسبة إلى فوجئت جدًّا، بينما قال (منذر):

- وهل من الطبيعى أن يعطيكم (ياسر) كلمة السر الخاصة بحاسوبه المحمول؟! من المفترض كعميل للمخابرات ألا تعرفوا هذا الشىء نهائيًّا!

- أخبرنا إياه قبل موته بعدة أسابيع، وكان مرتبكًا وقتها وكأنما هو خائف من أن يحدث له شىء، لهذا أخبرنا وطلب منا بالطبع ألا ندخل الحاسوب الخاص به أبدًا.. علاقتنا معه كانت عظيمة، كما أنه طلب منطقى، لكنه كان طلبًا غريبًا ومخيفًا، وقتها استغربنا لأنّ هذه المعلومة خاصة بعمله السرى والخاص والذى لا نتكلم معه عنه مهما حدث، لكن كنا نعلم أن هناك سببًا قويًا حتمًا لإخبارنا..

استفسر (ديمترى) باهتمام:

- أين حاسوبه؟!

قال (غالب):

- عندى فى البيت، ولا أدرى إن كان يعمل، أو أنه تعطل بعد هذه السنوات..

قلت بنفس الوقت الذى رن فيه هاتفى:

- أعتذر منك ولكن يجب أن تحضره لنا، يجب أن أرى ما الذى تركه (ياسر) فيه، يجب أن نعرف..

وأجبت الاتصال بينما (غالب) يغادر الغرفة سريعًا:

- (جلال)، هل وجدت شيئًا عن (سليمان) أو (صابرين)؟!

- وجدت بعض الصور يا (سامر) باشا، لكن لم أجــد أى شبه بينهما وبين اللذين نريدهما..

- قم بإرسال كل الصور لى عبر الشبكة الخاصة، سأرسل لك عنوان بريدى الإلكترونى حالًا..

وفورًا بعد أن أنهيت الاتصال أرسلت له عنوان بريدى؛ لتصلنى منه الصور على الفور..

قمت بالتأكد من كل الصور، أشخاص مختلفو الأشكال والألوان وأغلبهم كبار فى السن، ولا يوجد أحد منهم يشبه (سليمان) أو (صابرين)..

لكن..

فجأة شدّنى وجه واحد، بعنف، من بين كل الوجوه..

وجه مكتوب تحته اسم مألوف..

.. (جيكوب)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ابتلعت ريقى، وأشرت إلى الشاشة:

- هذا هو.. هذا هو..

سألنى (ديمترى) وهو يقترب بسرعة كى يرى الشاشة:

- من؟!

- (سليمان)، (جيكوب)، هذا هو، نفس الشخص!

اقتربوا منى وحاول (أكرم) أن يمدّ رأسه ليرى، قمت بإمالة شاشة الحاسوب قليلًا كى يرى بينما هو على السرير..

لم تكن الملامح قريبة أبدًا من ملامح (سليمان)، هذا أصلع، ملامحه ضخمة وكبيرة، أنفه مفلطح، أسمر، وبنظارات طبية!

- لولا أنَّ اسمه (جيكوب) لما عرفت أنه (سليمان)..

- (سليمان) و(جيكوب) شخص واحد؟!

- نعم، وكى أتأكد أكثر يجب أن أقوم بهذا الأمر..

وأمسكت الحاسوب، كانت الرسالة قد وصلتنى من (جلال)، قمت بتحميل الصورة، وبواسطة أحد برامج الذكاء الاصطناعى والتعرف على المجرمين

قارنت بين صورة (جيكوب)، وبين مجموعة من صور (سليمان)، كانت ضمن نفس الرسالة..

كان التحليل من البرنامج أنَّ هناك احتمالًا بنسبة ٨٧ ٪ أن يكون (جيكوب) هو (سليمان)، بناءً على بعض القياسات الخاصة التى قام البرنامج بعملها ومقارنتها بين الصور..

ابتسمت بظفر، وقلت:

- عظيم! الآن نحن متأكدون بشكل هائل أنَّ (جيكوب) هذا هو (سليمان)..

- وما العمل الآن؟!

- يجب أن نبحث عنه، هناك فى (قبرص)..

- كيف؟!

- عن طريق الذكاء الصناعى وتمييز الوجوه، سأضطر لاختراق قاعدة البيانات الخاصة بالكاميرات وحركة المرور، ثم سأغذيها بوجه (جيكوب) وصور (صابرين) أيضًا، كى أرى متى كان آخر ظهور تم تسجيله بواسطة الكاميرات، كى نحاول بعدها تحديد مكانهم الحالى..

قال (أكرم) بتعجب:

- كنت أظن أن هذا الشىء موجود بالأفلام السينمائية فقط!

- ليس بالضرورة، أحيانًا هناك مبالغات حمقاء فعلًا، لكن أحيانًا؛ هناك معلومات ناقصة وغير صحيحة لأن الواقع أكثر غرابة مما تراه!

- أكثر من الأفلام؟!

ضحكت:

- أحيانًا..

واتصلت بـ (جلال) وفتحت مكبر الصوت كالعادة:

ـ.. أحد الأشخاص الذين أرسلت لى صورهم اسمه (جيكوب)، أريد منك أن ترسل لى كل بياناته التى لديك، البيانات كاملة، لا أريد إضاعة أى وقت فى استخراج هذه المعلومات لأننى أريد أن أرى الكاميرات، لعلى أجد أثرًا له أو لزوجته..

سمعت صوته وهو يهتزّ ويضحك:

- لقد سبقتنى بثوانٍ يا (سامر) باشا، قمت بعمل هذا الأمر مباشرة بعد أن أنهيت الاتصال معك، ووجدت (صابرين)!

ظهر الارتياح الممتزج بالمفاجأة على وجوه الكل، بينما هتفت أنا بصوت عالٍ حاد: - وجدتها؟!

سمعت صوت باب يتم إغلاقه، ثم صوت خطوات، ثم صوت تشغيل محرك سيارة، وهو يقول: - وجدتهــا، إنها موجودة فى فندق اسمــه (ساماراك)، كانت فيه قبــل ساعتين، الكاميرا القريبة من الفندق سجلت وجودها هناك..

- وهل أنت ذاهب إليها الآن؟!

- مباشرة وبدون تأخير، خلال ربع ساعة سأكون هناك..

أنهينا الاتصال وقلت مخاطبًا (ديمترى):

- (جلال) أكثر من رائع، ويفهم جيدًا ما الذى يجب فعله، أحببت هذا الرجل، يجب أن نشكره ونطلب ترقيته.. يجب..

هز رأسه وهو مبتسم، (منذر) أيضًا كان يبدو على وجهه بعض الأمل، دخل بعدها (غالب) ومعه الحاسوب..

- هل حضرت هنا بهذه السرعة؟!

- جئت من طرق مختصرة..

أخذت الحاسوب منه وحاولت تشغيله، لم أستطع، ولم يكن هناك أى أسلاك أو وصلات معه، بحثت فى حقيبتى ووجدت بعض الشواحن والقطع، واحدة منها كانت تصلح مدخلًا للشاحن، قمت بربطها مع سلك طويل كان عندى وحاولت تشغيله أيضًا عبثًا، قمت بعدها بفكّ الحاسوب بالكامل، واستخرجت لوحة الذاكرة، وقمت بشبكها مباشرة مع حاسوبى بوصلة أخرى لدىّ..

ظهر أمامى وقتها رسالة تطلب التحقق من كلمة المرور، فوضعت الرقم نفسه: ٢٣٢٢٢

تراصت أمامى على الشاشة عشرات آلاف الملفات..

يا إلهى! ما كل هذا العدد؟!

كيف سنبحث؟! وعن ماذا نبحث بالضبط؟!

قلت:

- عدد هائل من الملفات! ما الذى سنبحث عنه؟!

- الدخان..

قالها (أكرم) فبحثت سريعًا، لكننى لم أجد أى نتيجة..

قال (ديمترى):

- ابحث عن نفس الرقم..

- الرقم ٢٣٢٢٢؟!

- نعم، بالتأكيد..

بحثت، وكان هناك ملف يحمل اسمه نفس الرقم..

فتحت الملف، كان هناك الكثير من المخططات والرسوم الكثيرة، بعضها مفهوم وبعضها غير مفهوم..

لكن، مما رأيته، يبدو أن هناك نقصًا ما!

تبدو هذه المخططات غامضة، غير واضح سببها وهدفها، لكنها تبنى أو تكوّن شيئًا، يرتكز على مادة متبخرة، أو متطايرة..

الدخان!

ما هذا؟!

كان فى العديد من الملفات، قمت بفتح بعضها..

كل الملفات تبدأ من الرقم ٣٥ وصولًا إلى ٦٠!

هذا يعنى ٢٥ ملفًا فقط، بترتيب تسلسلى ناقص..

لكن هذا يعنى أنَّ هناك ٣٤ ملفًا، ليسوا هنا..

ملفات مفقودة!

أين هم؟!

أين يمكن أن يكونوا؟!

كنت أفكر وأنا أقلب فى الصور والمخططات، عندما أتانى اتصال من (جلال)؛ لأردّ عليه بلهفة وفضول: - هل وصلت إلى الفندق؟!

- نعم وصلت، وسأدخل الآن للاستقبال مباشرة..

سمعنا صوت خطواته عندما وصل مكتب الاستقبال، أخبرته الموظفة هناك شيئًا باليونانية ورد عليها، دار بينهما حوار قصير، قبل أن يقول وصوته يرتجف

من الفرح: - سيد (سامر)، سألتها عن (صابرين)..

- وماذا أخبرتك؟!

- قمت بإعطائها الهاتف كى ترى صورتها، وقالت إنها بغرفتها منذ ساعتين تقريبًا، فهى مقيمة بالفندق..

بدهشة قلت:

- مقيمة فى الفندق؟!

- مقيمة فيه، منذ أكثر من ثلاثة أشهر..

- يجب أن تصعد إليها يا (جلال)، وأن تخبرها أننا نريد التواصل مع (سليمان)، وحاول أن تقيد حركتها لأننا لا نعرف ما ستكون ردة فعلها إن شكّت بشىء، أو إن خافت، من باب الاحتياط، وإياك أن تصوّرك إحدى كاميرات الفندق، كن حذرًا..

- ابقوا معى..

مرت دقائق ونحن معه، إلى أن سمعنا صوته عندما وصل إلى غرفتها ودق الباب.. مرت ثوانٍ قبل أن نسمع صوتها من وراء الباب تسأل عن الطارق، وكان جواب (جلال) أنه من خدمة الغرف، وأن لها طردًا باسمها..

فتحت (صابرين) الباب بحذر، كى يفاجئها (جلال) بدخوله مباشرة، بسرعة وقوة، أمسكها بيده اليسرى التى تحمل الهاتف، وبيده اليمنى أغلق فمها كى لا تصرخ، وبقدمه أغلق الباب، وسمعنا صوته يلهث، ثم يقول: - السيدة (صابرين) معك يا (سامر) باشا..

بسرعة وبصوت حاولت أن يكون هادئًا قدر المستطاع قلت:

- مرحبًا يا مدام (صابرين)، نعتذر جدًّا منك على هذه الطريقة بالوصول أو الاقتراب منك، لكن يجب أن تطمئنى، نحن من المخابرات العلمية الأردنية، والذى عندك الآن هــو (جلال) من السفــارة الأردنيــة فى (قبرص)، اسمــى (سامر رمضان)، وبجانبى (ديمترى) و(منذر) من المخابرات العلميــة أيضًا، أقول لك كل هذا كى تكونى مطمئنة، وكــى تعرفـى أننا معكما وبصفّكما، ولسنا مع أىّ جهة معادية قد تكون تبحث عنكما.. ما نعلمه أنك أنت وزوجك مختبئان فى (قبرص)، لأنكــما تشعران بالخوف من أن يحدث لكما مكروه، وهذا ما لن نسمح به..

سمعنا صوت همهمة غير مفهومة، فطلبت من (جلال) أن ينزع يده كى تتكلم..

سمعنا صوت تنفس، صوت شهيق وزفير، ثم سمعنا صوتها تمشى وتجلس، وتقول بصوت يمتلئ بالشكّ: - هل أنتم من المخابرات العلمية؟!

- نعم يا مدام (صابرين)، من المخابرات العلمية، ولم نحضر إليك إلاّ بمهمة سلمية، بعد أن عجزنا عن التواصل معك ومع زوجك.. قالت بدهشة: - (سليمان)؟! لكنّه مات منذ شهرين و ...

قاطعتها بحزم:

- ما زال زوجك حيًّا يرزق يا مدام (صابرين)! زوجك حاليًّا معك فى (قبرص) واسمه (جيكوب).. نحن نعلم!

- اسمه (جيكوب)؟!

صوتها كان مندهشًا جدًّا، لدرجة شككتنى بكل ما أفكر فيه، قبل أن تقول ببطء، وبعض الارتياح: - ما دمتم عرفتم أن اسمه (جيكوب) فهذا يعنى أنكم تعرفون أنه ما زال حيًّا بالفعل، ووصولكم لاسم (جيكوب) يعنى أنكم قمتم بالتواصل مع (أكرم) أو (غالب)!

تبادل الاثنان نظرات ممتلئة بالدهشة والذهول..

هتفت:

- مكبر الصوت مفتوح يا مدام (صابرين)، و(أكرم) و(غالب) عندى هنا، بجانبى، يسمعانك..

- حسنًا، إن كان الأمر هكذا، يجب أن أقول لزوجى..

- أين هو؟! أين السيد (سليمان)؟!

ببساطة قالت:

- بالغرفة التى بجانبى!

فوجئنا، لكنها أكملت:

ـ.. بشأن ماذا تريد أن تتكلم معه؟!

قلت مفسرًا:

- هناك عدة أمـور يجب أن يعرفها، وعدة أجوبـة يجب أن نسمعهـا، فالغموض الذى سقطنا فيه أكثر من هائل، وزوجك على الأغلب سيقوم بحلّ كل الألغاز المعلّقة..

سكتت قليلًا، ثم قالت:

- ألغاز معلقة؟! أليس هذا الاتصال بسبب الأمر الحقيقى الذى أنا وزوجى فى (قبرص) بسببه؟!

تبادلت النظرات، أنا والجميع، وقلت بتوتر:

- لا! أى أمر حقيقى؟!

قالت لتصدمنا:

- الاغتيال.. نحن هنا لأننا نخاف أن يقتلونا فى (الأردن)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٨ - اغتيال..

كانت العبارة غريبة جدًّا، وغير معتادة..

نحن لسنا فى (نيويورك)، أو (لاس فيجاس)، ولسنا حتمًا داخل فيلم حركة آخر من أفلام (هوليوود)..

اغتيال؟!

هما خائفان من أن يغتالهما أحد فى (الأردن)؟!

نهضت بضعوبة، تبادلت للمرة المليون نفس النظرات المتوترة مع الجميع، وقلت بصوت مبحوح: - اغتيال؟!

سمعت صوتها وهى تسعل، قبل أن تقول:

- نعم، اغتيال، (سليمان) خائف ولهذا هربنا إلى (قبرص)، وكنا ننتظر اتصالًا من شخص موثوق، ومن الواضح أنكم أهل لهذه الثقة، على الأقل هذا ما أتوسمه بكم، بناءً على ما عرفته منكم..

بقلق قلت:

- لا نعرف أى شىء عن الذى تقولينه يا مدام (صابرين)! هل ستقولين لنا الأمر أم من الأفضل أن نسمعه من السيد (سليمان)؟!

- أعتقد أنه من (سليمان) أفضل..

مر بعدها بعض الصمت، وسمعنا صوت أربع دقات متقطعة على باب، يبدو أنَّ هذه إشارة متفق عليها بين (سليمان) وزوجته، قبل أن نسمع صوت الباب وهو يفتح، وصوت (صابرين) تشرح وتتكلم، لم أميز الكلام بالضبط لكنها كانت تطمئنه بخصوص (جلال) حتمًا، والهاتف الذى يمسكه فى يده، والذى نسمع عن طريقه كل الحوار..

فجأة سمعت صوت (جلال):

- (سامر) باشا، نحن مع السيد (سليمان شكيب)..

- تمام، واضح، أعطنى إياه..

- تفضل..

مرت لحظة قبل أن أسمع صوتًا صارمًا:

- هل معى (سامر) من المخابرات العلمية؟!

بلهفة قلت:

- سيد (سليمان)، (سامر) معك، ونحـ..

قاطعنى:

- كيف سأثق بكم وقد هربت منكم؟!

تفاجأت من العبارة جدًّا..

هرب منا؟!

(ديمترى) أخذ الهاتف منّى، وقال بحزم:

- سيد (سليمان)، معك (ديمترى) إن كنت تذكرنى، قبل سبع أو ثمانى سنوات كنت زميلك بنفس القسم، كانت علاقتنا سطحية جدًّا لكننا كنا نرى بعضنا كل فترة..

- (ديمترى)! عرفتــك بالتأكيد! كيف أنســى شعرك ولحيتك وتثاؤبــك الدائم؟! لكن، عليك أن تعذرنى، كيف لى أن أثق بكم وقد هربت منكم؟! من المخابرات أقصد، وليس المخابرات العلمية، وقتها لم يكن هذا القسم موجودًا..

أشرت بيدى فقام (ديمترى) بإعطائى الهاتف، أخذته منه وقلت بعد أن تنحنحت: - هل من الممكن أن تسمع قصة قصيرة يا سيد (سليمان)؟!

- تفضل..

جلست وبدأت الحديث، الاتصال الغامض، الدخان ونبش الماضى، (ياسر) والقبر المنبوش، المستشفى، الصاروخ، القناع، (أكرم) و(غالب)، الحاسوب المحمول، وحتى ملف ٢٣٢٢٢ الذى فيه ملفات ورسومات كثيرة غير مفهومة بالنسبة لنا..

أوضحت له أنَّ الغموض أكثر من اللازم، وأنّ الخيوط أدت للوصول إليه، فالحلّ عنده حتمًا، لكننا فوجئنا أنَّ ما كان متوقعًا بالنسبة له ولزوجته أننا تواصلنا معهم بسبب الاغتيال، الذى كان بالنسبة لنا خبرًا جديدًا كليًّا، لا نعرف أى شىء عنه!

سمعنا صوت تنهيدة طويلة، قبل أن يقول:

- إذن الآن حان دورى أنا كى أخبركم بقصة قصيرة..

- قصة الدخان؟!

- الدخان، و(ياسر) رحمه الله، والاغتيال!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وضعت الهاتف بيننا جميعًا، وكان واضحًا مستوى اللهفة والترقب على ملامحنا، ومن عيوننا كلنا.. بينما (سليمان) يقول: - (ياسر) رحمه الله كان يملك عقلًا علميًّا عاشقًا للتكنولوجيا بشكل هو نفسه لم يكن يتخيله.. التقينا صدفة بأحد الأقسام وكان عندى مشكلة تقنية، وتفاجأت منه بحل ذكى وعبقرى، حل كان غائبًا عن ذهنى، وهنا شعرت أنه يملك شيئًا، يملك مهارة، يملك إمكانيات مجهولة، وهذه الإمكانيات ضائعة بين الرصاص والأسلحة والعمليات الأمنية المتواصلة..

وسكت عدة ثوانٍ قبل أن يكمل:

ـ.. بعدها تعددت لقاءاتنا وكنا فى كل مرة نحاول أن نكتشف شيئًا جديدًا، أو أن نحلل آلة معينة، أو أن نفكر بطريقة خارج الصندوق، إلى أن جاءنى (ياسر) فى يوم من الأيام، وكان لديه ذلك السؤال غير المألوف؛ عن إمكانية عمل سلاح مختلف، شكله عادى وتقليدى، بينما هو فى الحقيقة آلة تدمير مخيفة ومجنونة بشكل غير عادى؟! الجواب على هذا السؤال كان كافيًا لأن تتحفز كل خلية فى أدمغتنا، وهكذا، شيئًا فشيئًا، وصلنا لفكرة الدخان..

كنت أفكر وهو يتكلم..

سلاح؟!

لم أتوقع هذا الشىء أبدًا!

سألت بسرعة:

- وما هو الدخان؟!

- أعتقد أنكم رأيتم الرسمة التى بالملف الذى تركه (ياسر)، الدخان هو السلاح الذى أنا و (ياسر) اخترعنا معادلته!

بفضول هائل سأل (ديمترى):

- كيف؟!

- السلاح عبارة عن حقيبة دبلوماسية شكلها برىء، لكن فيها كل المعدات اللازمة لإخراج الدخان منها، وهو مادة متطايرة، كثيفة جدًّا، والكمية التى فى الحقيبة الواحدة، قادرة على قتل أكثر من مائة ألف إنسان!

شهقت بقوة:

- مائة ألف؟!

- على الأقل، ونستطيع مضاعفة الرقم لو أردنا..

- ما الذى يقوم السلاح بعمله بالتحديد؟!

- السلاح ليس قنبلة، ليس كيانًا تفجيريًّا يعتمد على الضغط أو البارود أو التفاعلات المعتمدة التقليدية.. السلاح عبارة عن دخان ينطلق من مكانه ليذيب الأشياء، ويغلق المسامات، ويخنق البشر، يعنى هو شىء شبيه بغازات سامة ولكن من نوع آخر عنيف جدًّا، لا يشبهه شىء إطلاقًا.. لو أطلقناه مثلًا فى شارع، سيذوب الحديد وتصبح أشكال المبانى غريبة، سيذوب الناس فى ذلك الشارع، وسيموتون فورًا دون أن يعرفوا لماذا وكيف..

أغمضت عينىّ محاولًا التخيل، قبل أن أقول:

- وماذا فعلتما أنت و(ياسر)؟!

- تقدمت أنا وإياه للمخابرات العامة ووزارة الدفاع، باقتراح لهذا الأمر، قدمنا ورقة بحثية كاملة فيها شروحات كافية، هذا سلاح هائل فعليًّا وبإمكاننا أن نصنع منه نسخًا صغيرة الحجم محدودة التدمير، قادرة مثلًا على تدمير مساحة لا تتجاوز عشرة أمتار، وأيضًا نستطيع عمل نسخ عملاقة، ندمر فيها مدنًا كاملة، أو حتى دولًا بأسرها..

بدهشة قلت:

- دُول؟!

- نعم، هذا العظيم والمخيف بشأنه فى نفس الوقت! نحن نتكلم عن سلاح يوازى السلاح النووى، أو القنبلة الذرية، وبنفس التدمير أو أكثر، ولكن دون لفت نظر أحد أو انتباه أشخاص لا يجب أن يعلموا بشىء.. من الممكن جدًّا أن تدخل حقيبة دبلوماسية مع وزير أو سفير لأى دولة دون قلق، وبعدها يتم زراعتها فى منطقة معينة أو ساحة مكتظة بالناس، وينطلق الدخان منها، ولاحقًا لن يعلم أحد ما السبب وكيف، بسبب الدمار الذى سيحدث، والذى لن يبقى أثر لسببه..

قال (ديمترى):

- وما الذى حدث معكما؟!

- مرت شهور ونحن نحاول، كان هناك شخص غامض فى المخابرات أو الوزارة يريد أن ينهى الأمر تمامًا ولكننا لم نعرف من يفعل هذا ولماذا؟!

المشكلة أننا كنا متأكدين جدًّا من فعالية السلاح ولهذا قررنا عمل تجربة عملية، وطلبنا من وفد رسمى من الوزارة والمخابرات أن يكون معنا، ويرى أفراد الوفد التجربة بعيونهم..

ابتسمت وقلت:

- وقمتم بعمل التجربة؟!

- قمنا بإجراء التجربة على قطيع من الأبقار.. هناك شركة لحوم كبيرة استوردت عددًا هائلًا وكان منهم عدد لا بأس به يحمل عدة أمراض وتشوهات، وحصلنا على تصريح أنه يجوز لنا أن نستخدمهم للتجربة، وقمنا بإجرائها. حضر التجربة عدد محدود من المخابرات العامة، ووزارة الدفاع، ومن قيادات الجيش، وبعض الشخصيــات المدنية صاحبة القرار، منهم سيدتــان اسمهما (جمان) و(ثراء)، شقيقتان، وتشغلان منصبًا حساسًا فى وزارة الدفاع..

كان (سليمان) يتكلم وأنا أحاول أن أربط الأمور ببعضها.. لماذا قال اسم (جمان) و (ثراء) بالذات؟! كان هناك وفد كبير مكون من عدة أشخاص يتبعون عدة جهات؟!

لماذا (جمان) و(ثراء) فقط؟!

المشكلة أنَّ الأسماء مألوفة نوعًا ما..

(جمان) و(ثراء).!

أين سمعت هذين الاسمين من قبل؟!

هل من المعقول أن يكون قد قاله أحد ما أمامى، عن إحدى العمليات المشتركة بين وزارة الدفاع والمخابرات؟!

- ونتيجة التجربة يا (سليمان)؟!

بحماس قال:

- مذهلة!

وسكت قبل أن يكمل بانفعال:

ـــ.. كان الحضور مصعوقين مما رأوه، وبالذات عندما شاهدوا إعادة بالتصوير البطىء لما حدث.. كيف انطلق الدخان من الحقيبة، وكيف بثوانٍ انتشر فى الحظيرة بنطاق محدودٍ هو نطاق الحظيرة فقط، ولم يغادرها للخارج إلا بقدر سنتمترات فقط، وكيف ذابت الأبقــار بسرعــة عجيبة، اختلط الدم بالعظـم

باللحم، واختفت الملامح وتبخرت الأصوات، وعم السكون.. سلاح مميت وعنيف، ومن ابتكارنا أنا و(ياسر) بالكامل..

سعل مرتين ولم نقاطعه، وبعدها قال:

ــ.. رفضت وزارة الدفاع الفكرة بشكل جنونى، وهذا جعل بقية الأطراف يتوقفون عن دعمها، الجيش، والمخابرات، لكن كان هناك إعجاب شديد بالسلاح من (جمان) و (ثراء)، الشقيقتين اللتين أخبرتكم عنهما قبل قليل..

حمل صوته نبرة مختلفة عندما ذكر اسميهما.. فسألته بحذر:

- وما الذى حدث؟!

- تم قتلهما!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رنت الكلمة فى رأسى كالجرس..

تذكرت!

الآن تذكّرت..

قرأت الخبر قبل سنوات ولم أمنحه الكثير من الاهتمام رغم أنه غريب جدًّا ويفجر الكثير من علامات الاستفهام.. (جمان) و(ثراء) شقيقتان، وما عرفناه وقتها عنهما أنهما كانتا تعطيان العديد من المحاضرات أحيانًا فى أماكن عامة، مع التركيز بشكل كبير على طلاب الجامعات بالذات، ولهما محبــة عظيمة جماهيريًّا، ولم يكن يعلم أحد أنهما يعملان مع وزارة الدفاع.. العمل الجماهيرى مع الطلاب كان أشبه بغطاء، مثل عملى فى التاكسى تقريبًا!

الغريب بالخبر الذى كلنا استغربنا منه وقتها، أن سبب الموت هو الانتحار!

هكذا كان الخبر.. « انتحار شقيقتين فى الشميسانى »!

وقتها، لم يصدّق أحد أى كلمة عن الانتحار..

هل ستذهب شقيقتان إلى منطقة (الشميسانى) البعيدة عن بيتيهما من أجل أن ينتحرا فقط؟!

ومن أجل أن ترمى كل واحدة منهما نفسها، من فوق بناية مهجورة بعد الساعة الحادية عشرة مساءً؟!

هل من المعقول أن تسمع عن شقيقتين محبوبتين وناجحتين، يقرران الذهاب فجأة للانتحار بنفس الوقت، ونفس المكان، دون أى سبب قد يكون منطقيًّا بأى حال من الأحوال؟!

لا يمكن!

حينها، كانت واحدة منهما تنتظر خطبة ابنها، بعد حادثة الانتحار المزعومة بأسبوعين كان موعد الحفلة! وشقيقتها أخذت جائزة من جوائز الريادة الوطنية قبل الحادثة بعدة أشهر..

هاتان سيدتان مقبلتان على الحياة، ولن ينتحرا هكذا، وبالذات مع تقرير الطب الشرعى..

كان تقريره هو الأكثر غرابة، حيث قال إنهما سقطتا إلى الخلف، كل واحدة منهما وجدت وقد سقطت على ظهرها!

لو انتحرتا فعلًا - وهذا مستبعد جدًّا مع الأخذ بكل الأسباب المطروحة - سيسقطان للأمام، على الوجوه، لا يوجد أحد ينتحر بظهره أو بالعكس إلا لو قام أحدهم بالدفع للأمام.. هذا ما جعل الجميع يتكلم بالأمر لمدة يومين كاملين، قبل أن يصدر المدعى العام بيانًا رسميًّا عن منع النشر بالأمر وتركه للجهات الأمنية المختصة.. ومات الموضوع تمامًا وانشغلنا بعدها بيومين بقضية رفع جديدة للأسعار، كان توقيتها مريبًا للغاية حيث إنّنا لم نعد نسمع أحدًا يقول أو يكتب كلمة عن الشقيقتين، لئلا يتعرض للمساءلة القانونية!

تذكرت هذا بسرعة هائلة وأنا أشد على الهاتف بقوة، وأنظر إلى (ديمترى) الذى كانت ملامحه مختلطة الانفعالات، لكن عدم الارتياح هو سيد الموقف بجدارة..

كان مثلى، يتذكر ويربط، أو، يحاول على الأقل..

هتفت:

- تذكرت يا (سليمان)، كل الضجيج الذى حدث، الصخب الكبير والادعاء المزعوم عن كونها عملية انتحار، وتقرير الطب الشرعى ثم منع النشر بالقضية، وكيف تم إجبارنا جميعًا وقتها على التوقف تمامًا عن الكلام، بالقانون!

- تمامًا، اقتنعتا بفكرتنا والسلاح الذى رفضه الجميع لأسباب غير منطقية، وهكذا تمت عملية التصفية بنجاح، كنت أنا و(ياسر) بحالة نفسية لا مثيل لها، مع خوف شديد على حياتينا.. بعد ذلك عرفنا السبب الحقيقى لرفض السلاح، بعد موتهما بعدة أيام، جاءنا اتصال هاتفى لعين ليلًا، عندما كان (ياسر) عندى..

عقدت حاجبى:

- سبب حقيقى للرفض، واتصال ليلى؟!

تنهّد وقال:

- الرفض كان رسميًّا، لأنّ هناك جهة أخرى كانت تريد السلاح ولكن بعيدًا عن أى طرق رسمية أو قانونية، وبدون حفظ أى حقوق ملكية فكرية، أو دفع مبالغ مالية، أو اعتراف بجهود وتعب، أو أى شىء! حاول أن تتخيل حماقة الذى فكر بهذه الفكرة العبقرية! جهة أخرى، اتصلوا بنا بالليل كى نلتقى لقاءً سريعًا، كنا خائفين جدًّا بعد الذى حدث مع (جمان) و(ثراء)، لكننا حاولنا أن نكون حذرين، والتقينا بعدها بالشخص الذى تكلم معنا..

- وما الذى حدث فى اللقاء؟!

- فى الدقائق الأولى للقاء قام بتهديدنا بالقتل مباشرة، وأخبرنا دون أى قلق أنه سبب الرفض الأول من كل الجهات الرسمية، لأن الجهة الأخرى التى يعمل معها تريد السلاح بأى ثمن، ثم فاجأنا أن هذه الجهة على استعداد لدفع أى مبلغ نريده، مقابل تسليم معادلة صنع السلاح بالإضافة إلى المخططات.. حين سألناه عن هوية هذه الجهة اعترف صراحة أنها عصابة عالمية، مكونة من قتلة ومختطفين مأجورين، مدعومين من عدة قيادات سياسية من عدة دول فى العالم، لأنها جهة قوية جدًّا، وتقوم بالكثير من النشاطات القذرة دون أن تزجّ بأسماء دول أو شخصيات معينة، ما يجعل الأمر يبدو أمام الناس أنها مجرد حروب عصابات إجرامية فقط لا أكثر..

كان فضولى هائلًا رغم أننى توقعت الإجابة:

- أى عصابة هذه؟!

- عصابة (كيم)!

تبادلت مع (ديمترى) نظرات متوترة..

سمعنا عن عصابة (كيم) الآسيوية بحكم ظروف عملنا أكثر من مرة، العصابة المجنونة، ذات العديد من الأذرع والأطراف حول العالم، والذين يملكون الكثير من الأموال بشكل غريب، والأغرب أنه لم يستطع أى جهاز أمنى أن يلقى القبض على أحد منهم..

ولا مرة!

بمجرد أن تلقى الشرطة القبض على أحدهم، ينتحر فورًا، الولاء شديد وعجيب بنفس الوقت ومثير للتساؤل، يقومون بالانتحار مباشرة كى يغلقوا أى باب للأسئلة أو الاستجواب، كى لا يحاول أى أحد أن يضغط لمعرفة أى معلومات سرية..

كنت مندهشًا بقوة، لكننا أكملنا الاستماع بتركيز كامل وهو يكمل بصوت مرتجف: ـ.. لكنّ المشكلـة ليست بعصابـة (كيم) فقط، المشكلة أنَّ الذى قـام بتهديدنا وهو جالس معنا بهذه الثقة منقطعة النظير، كان شخصًا سيصدمكم معرفه اسمه..

- من هو؟!

- نائب وزير الدفاع، شخصيًّا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت هذه مفاجأة جديدة، ومدوية..

مفاجأة لا تعنى إلا سلسلة من الحقائق: نائب وزير الدفاع خائن، ويعمل لأجل مصالحه الشخصية فقط، ويهدد الناس ويقتلهم من أجل أن يفعلوا ما يريد..

لكن، إن كان وقتها نائب وزير الدفاع، هل ما يزال فى منصبه أم أنه استلم منصبًا أعلى؟!

هتفت بسرعة بعد أن زفرت بقوة وحرارة:

- هل هو نائب وزير الدفاع، حاليًّا؟!

- لا بالطبع، لهذا كنت قلقًا منكم بالبداية.. حاليًّا هو نائب رئيس المخابرات العامة!

خطف (ديمترى) الهاتف من يدى:

- ما الذى تقوله يا (سليمان)؟! هل تعنى هذا؟! حقًّا؟!

- نعم يا (ديمترى).. هو نفسه..

هتف (ديمترى) بانفعال:

- العقيد (محسن)؟!

- نعم، العقيد (محسن عبد الجواد)، الذى كان وقتها نائب وزير الدفاع، والذى هو اليوم نائب رئيس المخابرات العامة، هو الذى جلس معى ومـع (ياسر)، كى يقنعنا أن نبيع السلاح لعصابة (كيم)، أو سيقتلنا.. هو نفسه..

جلس (ديمترى) وأمسك رأسه من الجانبين وهو يحدق فى الأرض وقد غمره الانفعال..

الاسم كان أكثر من مفاجأة شديدة بالنسبة له، أكثر مما كان يتوقع، لأنه أنجز بعض الأعمال مع العقيد (محسن)، والعلاقة بينهما جيدة للغاية..

لكن هذا كان مفاجئًا، وغريبًا!

مرت لحظات صمت ونحن لا نزال فى مرحلة الاستيعاب، قبل أن يقول لى (منذر): - وما الذى قاما بفعله بعد أن هدّدهما؟!

سألت (سليمان) فقال:

- ما فعلناه بعدها أننا طلبنا منه مهلة للتفكير، وقمت مع (ياسر) بالتفكير فى خطة لمنعهم من أخذ ما يريدون، خطة لحماية المعادلة وحماية حياتينا، وهنا قمنا باقتسام المعادلة، النصف الأول معى والنصف الثانى معه، بالذات بعد أن مررنا بمحاولتى تخدير واختطاف..

- اختطاف؟! لكما أنت و(ياسر)؟!

- طبعًا، العصابة ومعهم العقيد (محسن)، لا يوجد أحد سيهتمّ إن متنا أو عشنا، الهدف هو السلاح، هذا ما يهمّ فحسب، سيعطيهم السلاح ورقة رابحة جدًّا إن أرادوا التفاوض مع أى دولة أو أى جهة أخرى، ورقة رابحة لا توجد مع أحد إلا هم وحدهم، سلاح فريد جدًّا من نوعه سيجعل دولًا كبيرة تخضع لهم، بالمعنى الحرفى للكلمة، لا بدّ أن الكثيرين سيرضخون مع سلاح هكذا، ولهذا أبقينا نصف المعادلة معه، والنصف الثانى معى..

قلت:

- النصف الثانى معك، أين؟!

- بحاسوبى طبعًا، الذى أحمله أينما ذهبت.. معى بالغرفة..

قال (منذر) بذهول:

- كى أستوعب الأمر بشكل كامل لا بد أن أسأل يا سيد (سليمان).. اسمعنى.. بما أنَّ العقيد (محسن)، والعصابة، كانوا على علم بالكثير من الأمور عنك وعن (ياسر) رحمه الله، وفى نفس الوقت كانوا يفتقدون للكثير من الخيوط، ما العلاقة بين كلّ هذا وبين شخص بعيد مثل (سامر)؟!

كنت أفكّر فى نفس الأمر..

نعم، أنا.. ما علاقتى بالأمر؟!

لماذا هاتفنى أحد أفراد هذه العصابة أنا، بينما كل الأمور متداخلة، ما بين السلاح، والدخان، (ياسر) و(سليمان)؟!

ما دورى؟!

قال (سليمان):

- بالتأكيد هو العقيد (محسن)، لقد فقد كل أمل للوصول لى لكنه يعرف أننى كنت أرى (ديمترى) أحيانًا، والذى هو يعمل حاليًّا مع (سامر)، الذى كان زميل (ياسر) فى آخر مهمة له قبل موته، والذى هو من قام بعمل اللازم كى يموت (ياسر) فى هذه المهمة!

توترت ملامح (أكرم) بشكل رهيب، و(غالب) أيضًا، وأنا أكاد أن أصرخ: - ماذا؟!

- (محسن) غدر بكما وطعنكما من الخلف عندما كنتما هناك يا (سامر)، فى مهمة الميكروفيلم تلك، أنت و(ياسر)، من قام بمفاجأتكما حينها ليس الجيش الإسرائيلى وحده بأوامر رسمية، بل بعض العناصر المنشقة، الذين يعملون مع عصابة (كيم)!

كنت مصعوقًا..

كنت مصدومًا لأننى أسمع هذا الكلام لأول مرة..

وأكتشف هذه الحقائق غير المتوقعة!

هذا لا يعنى إلا أنَّ موت (ياسر) كان مدبرًا بالعملية، وليس مجرد وفاة بسبب الإصابة بعملية أمنية أو عسكرية..

(محسن) هو السبب المباشر فى وفاة (ياسر)!

قال (ديمترى):

- كيف؟! لماذا لم يقتله هنا فى (الأردن)؟! لماذا لم يستعن بأىّ مجرم من الذين تستعين ببعضهم المخابرات أحيانًا فى المهام غير الرسمية؟! ولماذا لم تقدم أى شكوى رسمية ضده ما دام بهذه البجاحة والسوء؟! لماذا لم تقل لمديرك المباشر أو لأى أحد؟!

كان صوت (سليمان) ممتلئًا بانفعالات الخوف مع الغضب مع السخط مع الثورة والصراخ: - لأننى كنت خائفًا للغاية! هددنى بزوجتى وأمّى وأبى! رأيتُ مع (ياسر) كيف استطاع أن يقنع الجميع بانتحار (جمان) و(ثراء) بينما هو اغتيال حقيقى متكامل الأركان، استطاع أن يفعل هذا بعلاقاته وقوته، وقتها بدأ (ياسر) يفكر بشكل أوسع ويخطط بطريقة أكثر احترافية وكفاءة، موضوع (جيكوب) كله من تخطيطه فيما لو حدث أى شىء له، حتى الورق الذى كان سيكتشفه أحد شقيقيه، (أكرم) أو (غالب)، وحتـ..

قاطعته فجأة:

- ما الذى يجعلنا نتكلم الآن إذن؟!

غيمـة صمت كبيرة أمطرت علينا ما تحمله، قبــل أن يتساءل (سليمان) بحيرة: - لم أفهم..

- إن كان بين أيديهــم بعض الخيوط، وبالمقابــل هناك خيــوط أخرى مفقودة، وقاموا بفعل كل هذا كى نجدك نحن، فهذا الهدف قد تمّ، ها قد وجدناك، ما الذى سيفعلونه الآن؟!

فكرنا قليلًا، عشرات الاحتمالات، مئات الاحتمالات، آلاف الاحتمالات، قبل أن ينهض (ديمترى) فجأة ليقول بانفعال: - نحن الآن وبغباء تام من قبلنا، قمنا بمساعدتهم وإعطائهم ما يريدونه على طبق من ذهب، لم يكلفهم الأمر أكثر من بحث عن الأشخاص الذين قد يكون الحل لديهم، وتفجير سيارة كى يدخل أهم شخصين إلى المستشفى، وبعض الأقنعة مع الكثير من الغموض! لقد أرشدناهم إلى مكان (سليمان) بكل بساطة!

هتفت بعصبية:

- كيف؟!

- قم بإنهاء المكالمة على الفور! (جلال)! غادر الفندق مع (سليمان) و(صابرين) حالًا، اذهبوا للسفارة مباشرة دون أى تردد أو إبطاء..

شعرت بعدم الفهم، ما الذى جعله يخاف فجأة؟!

ما الذى لم أعره اهتمامى كما يجب؟!

قال (جلال):

- حاضر (ديمترى) بيك، حاضر..

- لحظة يا (جلال)..

قلتها وأنا أحاول أن أفهم ما الذى يفعله (ديمترى)..

كان يبحث بجنون تحت السرير، وعند الستارة، وعند الثلاجة الصغيرة، وعند الهاتف الذى كان بجانب سرير (أكرم)، وفجأة أمسك جهازًا صغيرًا أسود اللون، يخرج منه العديد من الأسلاك الرفيعة.. لوح به أمام وجوهنا المذهولة وقال: - هذا هو! جهاز تنصت!

ولهث بقوة قبل أن يقول وهو يشير إلى (أكرم) وإلىَّ، بعد أن ألقى الجهاز على الأرض وقام بطحنه بقدمه: - لم تدخلا هذه المستشفى إلا لأنّ هذا الهدف الأهمّ! أن تكونا هنا فى هذا المستشفى، كى يزرعوا جهاز التنصت.. كان بإمكان الممرض الذى أعطاك إبرة يا (سامر) أن يقتلك، لكنه لم يفعلها، ولم يقتل (أكرم) أيضًا لأن الهدف هو التنصت، الهدف هو الوصول إلى

معلومات حقيقية عن (سليمان) عن طريق زملاء قدامى له، ولـ (ياسر)، مثلى ومثلك، اطمئنان (سليمان) لنا سيكون أكثر بكثير من اطمئنانه لأى فرد من أى جهات أخرى..

قال (منذر) متحفزًا:

- هل يعنى هذا أنهم استمعوا إلى كل شىء؟!

- نعم، ويعلم الله وحده الآن ما الـ..

فجأة سمعنا صوت ضربات قوية، عبر الهاتف..

ما هذا؟! هل اقتحم أحدهم غرفة الفندق؟!

من ضجيج الأصوات، يبدو فعلًا أنَّ شخصًا ما اقتحم الغرفة التى فيها (جلال) مع (سليمان) و(صابرين)، سمعنا صراخ (صابرين) بغتة، وسمعنا صوتًا يشير إلى أنَّ الهاتف سقط على الأرض..

رباه!

ما الذى يحدث؟!

اتصل (منذر) مباشرة بـ (إسحاق) زميل (جلال) كى يذهب مع قـــوة من الأمن إلى الفندق مباشرة، بينما كنت أنا متوترًا جدًّا، ونحن نحاول أن نسمع ونفهم، أى شىء..

سمعنا المزيد من الصراخ، ثم سمعنا صوت رصاصات!

سمعنا صوت عدة لكمات وركلات..

ثم ساد صمت مخيف..

- ألو.. ألو.. (جلال)..

قلتها بكل قلق الدنيا، مرت لحظات أخرى من الصمت العاصف، قبل أن أسمع صوت (جلال) يقول لى: - ألو.. هل أنتم هنا؟!

- معك، معك، ما الذى حدث؟! (إسحاق) فى الطريق إليك مع قوة من الأمن، لا تقلق.. ما الذى حدث يا (جلال)؟!

- اقتحم الغرفة شخصان يا سيد (سامر)، فجأة، وقاموا بإطلاق الرصاص علينا، وعندما سقطنا على الأرض اتجها للخزانة التى بالغرفة سريعًا، كانا على علم أن فيها الشىء الذى يريدانه، وهو الحاسوب المحمول، لا بدّ أنهما سمعا كل شىء عن طريق جهاز التنصت إياه.. لكن، أنا رجل عسكرى يا (سامر)

باشا، وتدربت كثيرًا جدًّا، قمت بقتالهما بكل ما أستطيع من قوة، واستطعت إصابة الأول برصاصة فى رأسه ومات مباشرة، لكن الثانى لم يمت سريعًا، أطلقت رصاصتين على بطنه وسقط مسدسه بعيدًا عنه، ما جعله هنا يعضّ على أسنانه ليموت، وعرفت من الرائحة الكريهة التى انفجرت بالغرفة أنَّ الأمر واضح، هناك قرص من سم (السيانيد) بين أسنانه، انتحر كى لا نلقى القبض عليه!

شعرت بارتياح لم يدم إلا عدة ثوانٍ، قبل أن يقول:

- السيدة (صابرين) ماتت برصاصة مباشرة!

شهقنا، وقال (ديمترى):

- و(سليمان)؟!

- يريد أن يتكلم معكم..

مرت ثوانٍ كأنها ألف عام، قبل أن نسمع صوت (سليمان) يقول بصعوبة وبطء: - (سامر)، (ديمترى)، لا يجب أن يكون هذا السلاح مع أىّ أحد، إطلاقًا.. عصابة (كيم) كانت على وشك أن تحصل على النصف الأول من المعادلة، ولكنها معادلات لا توصل لأى نتيجة دون النصف الآخر الذى معكم وأمامكم الآن، إلا لو كان هناك مختصون جدًّا بأمور الأسلحة، وقتها، نصف واحد يكفى على الأقــل لاستكمال أبحاث ودراسات قــد تأخذ منهم عــدة سنوات.. لهذا سأقوم بتدمير النصف الأول الذى معى، سأحرق الحاسوب المحمول بكل ما فيه، الآن، ولوحــة الذاكرة، وكل شــىء.. لا بدّ أن أتخلَّص من كل شــىء.. الآن.. لا بدّ..

لم نستطع أن نعلق بكلمة..

لم يستطع أحد أن يحصل على المعادلة بشكل كامل حتى الآن، ولكن هناك عدة جثث بسببه، كيف لو استطاعوا أن يصلوا لأىّ نصف من النصفين؟! كيف لو تحول هذا فعلًا إلى سلاح رسمى، يستطيعون استعماله كيفما شاءوا؟!

ستحدث العديد من الكوارث، وليس مجرد كارثة واحدة!

قال (ديمترى):

- تخلص من الحاسوب يا (جلال)، بحيث لا يبقى شىء منه..

مرت لحظات قبل أن نسمع صوت ضربات، ثم صوت اشتعال، وأصوات مختلطة أخرى لم نستطع تمييزها، ثم قال (جلال): - تمام، قمت بتحطيمه تمامًا، ثم حرقته، من المستحيل أن يستخرج أى أحد منه أى معلومة مفيدة

الآن، هكذا لم يبق إلا النصف الآخر الذى معكم يا (سامر) باشا، يجب أن تتخلصوا منه سريعًا قبـ..

وفجأة صمت..

قطع كلامه وصمت!

- آلو.. (جلال)، أين أنت؟! (جلال)؟!

بقلق هائل سألته، وعيون (أكرم) و(غالب) و(ديمترى) ترقبنى وتتأمل الهاتف بلهفة غير عادية.. قال (جلال): - معكم، ولكن..

- ماذا؟!

- مات السيد (سليمان)!

قالها ببطء، بينما حالة عنيفة من الحزن هجمت علينا..

لا إله إلا الله..

غيمة سواد باغتتنا، فاجأتنا دون أن نتوقعها..

مات (سليمان شكيب)!

صمت طويل مرّ علينا ونحن فى حالة غريبة من المشاعر المختلطة، لم نستطع أن نفعل أو أن نقول شيئًا، هناك حزن وقلق، هناك توتر يملأ المكان، وعصبية عنيفة، وغضب.. غضب هائل..

نهض (ديمترى) وأمسك الحاسوب المحمول وقال:

- مات (سليمان) وماتت زوجته، و(ياسر) قبل سنوات أيضًا، و(جمان) و(ثراء) كذلك، من أجل سلاح قادر على إفناء مدن ودول كاملة.. هذا يكفى، يجب أن ينتهى هذا السلاح، وأن نتخلص من هذه المعادلات والمخططات التى ربما يستطيع أحدهم كما أخبرنا (سليمان) بنفسه أن يطورها ويحصل على السلاح نفسه من جديد خلال سنوات.. لا، لن يموت المزيد بسبب الدخان..

لم يكد ينتهى من عبارته حتى انفتح باب الغرفة بقوة، ودخل منه آخر شخص نتوقع رؤيته هنا..

العقيد (محسن) بنفسه..

.. العقيد (محسن عبد الجواد)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دخل العقيد (محسن) إلى الغرفة بسرعة، ومعه قوة مكوّنة من سبعة رجال من الأمن العام..

كانوا مسلحين، وأسلحتهم مصوبة نحونا!

فوجئنا بشكل عنيف، وكان (ديمترى) أكثرنا ذهولًا، وهو ينظر إلى العقيد الذى أخذ يمشى عدة خطوات، ببطء، ينظر إلينا بينما يداه وراء ظهره..

وقف فى منتصف الغرفة، وقال بثقة:

- جئت هنا كى ألقى القبض عليكم جميعًا بتهمة الخيانة العظمى للدولة.. و.. هذا الحاسوب الذى معك يا سيد (ديمترى) هو ملك للدولة أيضًا، وما فيه من معلومات حق للمخابرات العامة ووزارة الدفاع، وحتى لو قمت بإلقائه الآن على الأرض، أو حاولت أن تحطمه بسرعة كبيرة قبل أن تخترقك رصاصات الرجال، لن يحصل شىء للذاكرة الداخلية، فلا تتعب نفسك، أنت تعرف هذا..

اقتربت فجأة من (ديمترى)، خطوة سريعة كانت، دون أن أتلفظ بأى كلمة، رجال الشرطة مع العقيد (محسن) شعروا بالخطر، وتوجهت فوهات المسدسات كلها نحوى، لم يفعلوا شيئًا لى لأننى لم أكن مسلحًا ولم أفعل شيئًا خطيرًا لهم، أشرت إلى (ديمترى) أن يعطينى الحاسوب، أخذته منه بينما تحفز الجميع، فى محاولة لفهم السبب الذى أخذت لأجله الحاسوب المحمول..

قال العقيد (محسن) وعلى وجهه ابتسامة كبيرة:

- ما الذى تفعله يا (سامر)؟! هل أخذت الحاسوب كى تكسره أنت، أم من أجل أن تحذف ما عليه من بيانات؟!

قالها وضحك، بينما أنا أمسكت الحاسوب جيدًا ولم أهتمّ، ضغطت على بعض الأزرار، ثم ضغطت آخر ضغطة بقوة، وعلى وجهى علامات ثقة مفرطة..

كان حجم المفاجأة واضحًا على وجه العقيد (محسن)، والبقية أيضًا، ونحن نستمع إلى صوت (سليمان) وهو يتكلم معنا..

ما قمت بفعله هو أننى قمت بتشغيل ملف صوتى، محفوظ على الحاسوب، فيه المكالمة الهاتفية التى تم إجراؤها مع (سليمان)، والتى قال فيها الكثير من الأشياء، أهمهما عصابة (كيم)، وانضمام (محسن) لهم، وتهديده (ياسر) و(سليمان) بالقتل، و(جمان) و(ثراء) طبعًا..

كان الارتباك والانفعال يبدوان على وجه العقيد (محسن)، والذى حاول أن يقترب منى أو من (ديمترى) والحاسوب، لولا أنَّ هذا الأخير مع (منذر)، وضع كل منهما يده على جنبه، بإشارة واضحة أنَّ هذا هو مكان المسدس! إشارة واضحة فيها تحذير من الاقتراب ومحاولة قطع التسجيل الصوتى.. كان كل واحد فيهم واضعًا يده على جنبه، على مسدسه، بإشارة واضحة، فيها تحذير من الاقتراب، وتجاهل كامل بالمسدسات السبع الموجهة نحونا..

انتهى التسجيل الصوتى..

كان يبدو للجميع أنَّ العقيد (محسن) فى ورطة، وأنّ أسوأ قرار اتخذه كان الحضور إلى هنا!

كان يبدو على رجال الشرطة السبع عدم التصديق، بنفس الوقت الذى هزتهم ردة فعل العقيد (محسن)..

فجأة وفى لحظة واحدة، أنزل أربعة منهم مسدساتهم وهم يتبادلون العديد من النظرات ذات المغزى، كى يهتف العقيد (محسن) بعصبية فيهم وهو يحرك يديه بانفعال: - أنا العقيد (محسن عبد الجواد)، نائب رئيس المخابرات العامة آمركم أن تلقوا القبض عليهم جميعًا بتهمة الخيانة العظمى..

شدّ (ديمترى) قامته وقال:

- وأنا (ديمترى) من المخابرات العلمية، وهذا الخائن تسبب بقتل العديد من الأشخاص، فى سبيل سلاح يريد أن يبيعه لعصابة معادية لدولتنا وللكثير من الدول الأخرى، هو الخائن الذى يستحق أن تلقوا القبض عليه، وليس نحن..

الأسلوب الرهيب الذى كان يتكلم به (ديمترى) بكل ثقة وقوة وثبات، والطريقة التى كان يبدو فيها العقيد (محسن) متفاجئًا ومرتجفًا ومرتبكًا، كانت كافية لرجال الشرطة أن يوجهوا المسدسات نحوه..

نحوه هو!

تراجع بظهره للجدار الذى خلفه، وبدا عليه الخوف، يطلّ بوضوح من عينيه، وبالذات حين قال (ديمترى): - اقبضوا عليه..

اقترب منه رجال الشرطة، بنفس الوقت الذى ابتسم هو ابتسامة صفراء غامضة، وقال وعيناه تتحركان بسرعة: - مستحيل.. لن أسمح لكم..

قالها، وفتح فمه..

ثم ضغط على أسنانه بقوة!

مجرد أن فتح فمه فهمت مباشرة ما الذى يريد أن يفعله، قفزت من مكانى نحوه وأنا أصرخ، لكنه كان أسرع منى..

قرص سمّ (السيانيد) الذى بين أسنانه كان أسرع منى!

تقلصت ملامحه، وأغمض عينيه، وأطلق صرخة ألم وهو ينحنى للأمام، سقط على الأرض وتفجرت رائحـــة السيانيـــد الكريهة، سقطت معه عندما ارتطمت به.. ارتجف جسده قليلًا، ثم شخصت عيناه باتجاه السقف، وهدأت حركته تمامًا..

ومات!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أسبوع كامل مر بعدها..

تحقيقات، وإجراءات أمنيـــة وقانونيـــة، بعد أن خرجت مــع (أكـــرم) من المستشفى بخير..

أعلنت المخابرات العامة ببيان رسمى عن وفاة العقيد (محسن عبد الجواد)، أثناء تأديته لواجبه، من أجل الفضيحة..

التزمنا الصمت تجاه ما حـــدث، وقمت مع (ديمترى) و(منذر) بحضـــور الجنازة رغم أنوفنا، فقط كى لا نثير أى تساؤلات عن أىّ شىء..

الحاسوب الذى نملكه دمرناه تمامًا، وتأكدنا أنه لا يوجد أمل فى الاحتفاظ باسترجاع البيانات، أبدًا..

هذه كانت رغبة (سليمان) قبل موته مباشرة، وقمت بتلبيتها كما طلب وأكثر، كى لا يكون سلاح كهذا مع الشخص غير المناسب، والذى لا شك أنه سيستغله بأسوأ شكل ممكن..

كان التخلص منه هو أفضل شىء..

تذكرت كـــل هـــذا وقد نزلت من التاكسى، بعد أن أوصلت فتاتين نـحـو (سيتى مول)، رجعت من الطريق ثم سرت قليلًا فى (خلدا) قبل أن أمرّ على الكشك المفضل لبيع القهوة بالنسبة لى، طلبت كوبًا من الكابتشينو بينما قال لى (صالح)، الشاب اللطيف الذى أشترى من عنده دومًا: - هل تتابع الأخبار؟!

- أى أخبار؟!

- الصاروخ الذى تفجر بأحد السيارات قبل أسبوع تقريبًا، حتى الآن لم يعرف أحد ما سببه؟!

- لا، حسب علمى..

- هل تصدق أنَّ هذا خلل فى كهرباء السيارة فعلًا، كما قالت الصحف الرسمية وكما نشر فى السوشيال ميديا؟!

شربت القليل من الكوب قبل أن أبتسم وأقول:

- الله أعلم، يجب أن أصدق يا صديقى..

ضيق عينيه وقال محاولًا أن يكون ذكيًّا:

- لا تصدقهم، هناك الكثير مما يدور خلف الكواليس..

- حقًّا؟!

- نعم، نعم، هل صدقت العقيد الذى قالوا عنه قبل عدة أيام إنه مات أثناء تأديته واجبه.. لماذا لا يوجد تفاصيل؟! لماذا تم منع النشر فى أمر موته وكأنه أمر لا يجب الخوض فيه؟! ما دمنا سمعنا عن منع للنشر فهناك الكثير من التفاصيل التى لا تريد منا الدولة أن نعرفها.. أنا متأكد..

شربت من الكوب مرة أخرى وقلت:

- هذه أمور لا نعرف عنها، من الأفضل أن يركز كل منا على تخصصه فهذا أفضل، سأبقى كل اهتمامى على التاكسى وعلى حسن تعاملى مع زبائنى، وأبقِ كل اهتمامك على تحسين جودة الكابتشينو والنسكافيه والقهوة عندك، كى يستمر الزبائن بالحضور إليك وتفضيلهم لك على جميع الأكشاك المنافسة، بنفس الشارع..

- تقصد مثلك أنت؟!

- بالضبط، مثلى أنا..

قلتها وضحكنا، قبل أن يخرج علبة دخان من جيب بنطاله الخلفى، ويسحب سيجارة منها ليقدمها إلى ويقول: - هل تريد أن تدخن؟!

ابتسمت وأبعدتها عن وجهى قائلًا:

- حتى لو كنت أدخن، فما مررت به هذا الأسبوع كافٍ تمامًا لأنسى كل ما أحبه بشأن الدخان حتى الأبد!

قلتها وأطلقت ضحكة قوية ممتزجة ببعض المرارة، بينما هو ينظر لى باستغراب، دون أن يبدو عليه أى أثر للفهم..

كنت أشعر بارتياح هائل.. حييته برأسى ونهضت، واتجهت لسيارتى عندما رنّ هاتفى.. الاسم المسجل جعلنى أتحفز مباشرة، وشعرت بتدفق الدم فى عروقى..

- (سامر) معك..

- (سامر) الجميل دائمًا، أنا (منذر)..

- أهلًا (منذر).. كيف حالك؟! هل من جديد؟!

قال العبارة التى كنت أنتظرها بشغف:

- حاول أن تأتى الآن إلى شقة (ديمترى).. هناك قضية جديدة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

لينك الانضمام الى الجروب – Group Link

لينك القنـــــاة – Link

الفهرس..

مقدمة..

١ - « رقم خاص يتصل بك »

٢ - حالة غريبة..

٣ - هو نفسه!

٤ - الانفجار!

٥ - بذكاء..

٦ - ميّت آخر!

٧ - بيت مهجور؟!!

٨ - اغتيال..